رسالة تاريخ مصر

جمعها

يحيى أحمد عبد الحافظ



رسالة تاريخ مصر

جمعها : يحيى أحمد عبد الحافظ

رسالة تاريخ مصر

مقدمة:

الماء مصدر الحياة على سطح الكرة الأرضية ... فحيث يوجد الماء توجد مظاهر الحياة من مزروعات وطيور وحيوانات والإنسان ؛ فلايستطيع الإنسان العيش بدون الماء.

ومنذ بدء حياة الإنسان على الأرض – منذ مئات آلاف السنوات - تجتمع الأسر والقبائل حول مصادر المياه من آبار وأنهار حيث توجد الغابات والأشجار والحشائش وسائر الطيور والحيوانات ، ومن هذه المصادر يشرب الإنسان ، ويستطيع جمع الثمار والمزروعات التى يأكلها من الغابات والأشجار ، ويمكنه صيد الأسماك والطيور والحيوانات التى يتغذى عليها ، وتعلم الإنسان فيما بعد كيفية زراعة المحاصيل المختلفة وتربية الدواجن وبعض الحيوانات التى تمده باللحم واللبن وتساعده فى تنقلاته ، كما تعلم كيفية الاستفادة من أصواف تلك الحيوانات وجلودها وعظامها.

ولما كبرت هذه التجمعات البشرية بعض الشئ إحتاجت إلى تنظيم فى التعامل بين الأفراد بعضهم البعض وفى التعامل بينها وبين التجمعات الأخرى ... هذا التنظيم يحتاج إلى قائد محنك للمجموعة أو القبيلة تستمع لأوامره ويفض نزاعاتهم.

وقبل الحاجة إلى مثل هذا التنظيم برزت مشكلة التفاهم بين الأفراد والتى تم التغلب عليها فى البداية بالإشارات ثم بأصوات اتفق على معناها ... شيئا فشيئا نشأت اللغة.

كان الإعتماد فى البداية على القوة ... حيث يكون القائد هو أقوى رجل فى القبيلة .. وكانت إهتمامات القبيلة تنحصر فى البحث عن مصدر للغذاء والماء والكساء لأفرادها ، مع تأمين القبيلة من إعتداءات القبائل الأخرى.

حين زاد عدد الأفراد بالقبيلة بدأ البعض فى التركيز على أعمال معينة كالزراعة أو الرعى أو الصيد ... هذا التخصص منح هذا البعض الوقت والتفرغ لإكتساب نوعا من الخبرة ... خبرة فى الزراعة من حيث توقيت المحاصيل وأنسب طرق الرى والزراعة والجنى والحفظ .. خبرة فى الصيد والرعى وكيفية الاستفادة من الحيوانات والطيور ومنتجاتها ... هذه الخبرة جاءت بعد سنوات كثيرة من التجارب والأخطاء.

تطور الأمر على مدار الزمن .. إستطاع الإنسان صناعة ملابس وأحذية بدائية من أصواف الحيوانات وجلودها ، إكتشف الإنسان كيفية غزل الخيوط وبدأ يصنع منسوجات يدوية وملابس مختلفة ... إستطاع الإنسان بعد إكتشافه للنار أن يستخدمها فى الإضاءة والتدفئة وطهى الطعام وكذلك فى صناعة الأسلحة والدروع من الحديد والمعادن ...

ثم ظهرت الحاجة إلى تعلم الطب للتداوى من الجروح والإصابات والأمراض المختلفة سواء بالأعشاب أو خليط من المركبات الطبيعية ... بدأت الفنون فى الظهور من رسم ونحت ورقص وغير ذلك ... بدأت محاولات كتابة الكلمات والنصوص عن طريق رسم أشكال وحروف والاتفاق على معناها وكيفية نطقها ... كل هذه الإكتشافات والتطورات إستغرقت سنينا طويلة من البحث والتجربة للوصول إلى الأفضل.

وكما بدأت الحياة بمظاهرها الطيبة بدأت الصراعات والحروب بين القبائل ....

وكما بدأت مظاهر الحياة بدائية فى أول الأمر ثم تطورت شيئا فشيئا مع تطور الإنسان وخبرته .. بدأت الصراعات بدائية فى وسائلها (تشابك بالأيدى أو العصى أو الأحجار) .. بدائية فى أسبابها إما للتنافس على مصادر المياه أو الإستيلاء على مزروعات وحيوانات وممتلكات قبائل أخرى أو رغبة بعض القبائل فى السيطرة وفرض النفوذ ... أسباب مباشرة صريحة ... ثم تطورت وسائل الصراعات وأسبابها الظاهرة والخفية سواء كانت سياسية أو طائفية أو إقتصادية.

ومهما تعددت المبررات تبقى دائما طبيعة الإنسان العدائية الخفية التى تنتظر الفرصة لتبسط نفوذها على المحيطين ، ولا يجد الإنسان صعوبة فى البحث عن مبرر مناسب لعدوانيته ورغبته فى السيطرة ؛ مبرر يتستر وراءه لتحقيق أغراضه الدفينة ... ويحاول إقناع حلفائه وأصدقائه بهذا المبرر الحقيقى أو الوهمى ليضمن مساندتهم وتأييدهم أو على الأقل تحييدهم ، بل ويحاول إقناع خصومه أنفسهم أو إيهامهم بنبل نواياه لخوض الحرب ضدهم لتحقيق الأهداف العظيمة التى لن تتحقق إلا بالسيطرة عليهم والتحكم فيهم وإستغلالهم .... إنها طبيعة الإنسان الفردية والجماعية منذ بدء الخليقة على سطح الأرض ... طبيعة قديمة قدم الإنسان ذاته.

لذلك ظهرت حاجة القبائل إلى تكوين فريق قوى للدفاع عنها ، وتقوم بتسليح هذا الفريق بالعدة والعتاد وتدريبه على فنون الحرب والقتال بما يمكنه من الحفاظ على ممتلكات القبيلة وأفرادها من الاعتداء ، و قد يتولى هذا الفريق الإعتداء على القبائل الأخرى وفرض السيطرة عليهم لتحقيق الأغراض الظاهرة أو الدفينة للقبيلة.

حاولت القبائل – فى بعض الأحيان - التعايش مع بعضها البعض بدون حروب أو مشاحنات عن طريق إجراء إتفاقيات سلام – غير مكتوبة فى البداية – فى مجال التجارة أو الدفاع المشترك مع القبائل الأخرى ... وإستطاع قادة بعض القبائل تنظيم تحالفات بأن تنضم القبائل تحت قيادة واحدة تحقيقا لنفوذ أكبر وأمان أكثر ناتج عن إنضمام عناصر القوة والخبرة.

ورغم إحترام بعض القبائل لهذه الاتفاقيات والتحالفات ، إلا أن البعض الآخر إتخذها ذريعة لدرء الصراعات إلى حين ، وإستغلال فترة هذه المهادنة فى مهاجمة غير المتحالفين والسيطرة عليهم مع محاولة إضعاف الحلفاء الحاليين خلال فترة الهدنة أو الاتفاقية بكافة السبل والأشكال ، حتى إذا ماسنحت الفرصة إختلقوا المبررات المختلفة للحنث بالعهود والمواثيق ، وهاجموا الحلفاء من أجل السيطرة والإستيلاء على ما يملكونه من ثروات ؛ هذا هو السبب الحقيقى مهما بدت منطقية الأسباب التى يسوقها المعتدى ومعقولية المبررات التى يدعيها المحتل.

وتظل الصراعات مستمرة مادامت الحياة مستمرة ؛ فهذه طبيعة بشرية على مستوى الأفراد والجماعات ، تزيد وتقل لأسباب مختلفة ولكنها لاتختفى ، بل تظل موجودة كامنة تنتظر الفرصة التى تسيطر فيها على صاحبها وتحرضه لينقض على غيره.

كانت تلك بداية حياة الإنسان على الأرض وتطورها ... سلسلة طويلة من التجارب والأخطاء ... حلقات متتابعة من الاستقرار والصراعات ... إستطاع خلالها تعلم أشياء وإكتساب خبرات ... ومازال أمامه الكثير ليتعلمه ولكن البداية دائما صعبة ...

وكلما تعلم الإنسان علما إكتشف مقدار جهله السابق لعله يتواضع فى ضوء جهله اللاحق.

لماذا ندرس التاريخ؟

وأنت تتصفح هذه الوريقات هل فكرت كيف بدأ إكتشاف الورق؟ وكيف تم تصنيعه؟ وكيف تم التطور فى صناعته؟ وكيف تم إكتشاف الأحبار وأنواعها المختلفة؟ وكيف تم التوصل إلى اللغة التى نكتبها ونفهمها ونتفق على معاني كلماتها؟.
إن دراسة التاريخ تتيح لنا تقدير جزء يسير من الجهد والمشقة والمعاناة والوقت الذى إستغرقه القدماء للوصول إلى إكتشافات وإختراعات نراها اليوم بديهيات لانتوقف عندها ولاتشغل جزءا من إهتمامنا بإعتبارها بديهيات ، ونستخدم هذه الإبتكارات كل يوم دون أن نفكر أو نتذكر متى وكيف توصل الإنسان إلى ذلك ، ويصل الأمر إلى عدم إمكانية تصور الحياة بدون مثل تلك البديهيات ، مع تسليمنا أن الحياة على الأرض بلاشك بدأت بدونها وإخترعها الإنسان فيما بعد.

شئ آخر ...

هل تعرف الجذور الحقيقية للشعب؟ متى وكيف بدأ إنتماؤه لدولة أو عقيدة؟ وكيف تطورت أحواله عبر الأجيال المختلفة؟

إن دراسة التاريخ تتيح لنا التعرف على ذلك ، وتفسر لنا حقيقة التطور السياسى والإقتصادى والإجتماعى الذى حدث للشعب على مدار السنوات ؛ وقد تساعدنا فى تفسير مايحدث كتطور طبيعى وفى نفس الإتجاه لمبادئ الشعب ومفاهيمه ؛ وقد تتيح لنا توقع ماسوف يحدث كرد فعل للأحداث المستقبلية مما يساعد على التخطيط للقرارات مع توقع رد فعل الشعب فى ضوء تاريخه القديم وحاضره المعاصر.

إن دراسة تاريخ شعب يجب ألا تقتصر على سرد تواريخ ووقائع وأحداث ... بل يجب أن تتعدى ذلك إلى دراسة وتحليل كافة النواحى الإجتماعية والإقتصادية للشعب ، والتى تأثرت بالوقائع والأحداث التاريخية للوصول إلى تفسير للتركيبة النفسية الحالية للإنسان المعاصر.
ويجب أن تفيد هذه الدراسة فى تحديد التوصيات التى يمكن العمل بها لتصحيح نواحى القصور وتعظيم نواحى القوة والتفوق والإبداع داخل النفس البشرية ؛ للوصول إلى التركيبة المثلى – كلما أمكن – للإنسان المعاصر؛ وذلك لتحقيق أقصى قدر من التقدم والرقى ، باعتبار الإنسان هو وحدة المجتمع.
لاشك أن تصفح التاريخ في حد ذاته مسلى ومشوق ، ولكن يجب أن يتعدى الأمر ذلك ، لابد أن يحمل التاريخ رسالة للأجيال التالية لتستفيد منه لحاضرها ومستقبلها.

فإذا رغبنا فى ذلك وإستطعنا عليه وجاهدنا أنفسنا وأعدائنا فلاشك أننا سنصبح فى المستقبل أفضل كثيرا من حاضرنا وماضينا.

ولاشك أن تاريخ مصر قديم وغنى وملئ بالأحداث ، وقد ترك القدماء آثارا كثيرة تساعد على معرفة أجزاء هامة من التاريخ البشرى عامة والتاريخ المصرى خاصة ، وحاول المؤرخون تحليل هذه الآثار وتفسير الأحداث للوصول إلى حقيقة الأحوال وكشف الأسرار التى مازال التاريخ يخبئ منها الكثير.

ونحتاج جميعا كمصريين إلى سرد مبسط متسلسل يحكى أحداث التاريخ بشكل موجز لعدة أسباب:

- معرفة تاريخ مصر بشكل متكامل مسلسل وليس على شكل حلقات غير متواترة – وأحيانا غير أمينة – كما هو الحال ببعض الكتب الدراسية ، ولايدرى الكثير مثلا هل يسبق العصر البيزنطى العصر الرومانى أم يليه ، ومالفرق بين العصر البطلمى والعصر اليونانى؟
- المعرفة المبسطة لخواص كل عصر وأهم الحكام وإنجازاتهم
- محاولة دراسة تأثير العصور المتعاقبة على الشعب المصرى

حاولت القيام بهذا السرد التاريخى بشكل مبسط موجز من خلال المصادر المتاحة للجميع بصفتى شخص غير متخصص ، ولايعد هذا تأريخا – فلست مؤهلا لذلك - ولكنه مجرد سرد موجز قد يسد حاجتى وحاجة إخوتى وأبنائى إلى معرفة تاريخ مصر المتسلسل بشكل عام مبسط ، دون الدخول فى التفاصيل أو التفاسير ... وعلى من يرغب فى المزيد فليلجأ إلى الكتب والمراجع المتخصصة.

وأتبعت هذا السرد بتعليق شخصى متواضع لايرقى إلى تحليل ؛ فلست مؤرخا أو محللا ؛ يعبر عن وجهة نظرى بعدما مررت بالعصور المختلفة التى تعاقبت على مصر عبر التاريخ ، وأرجو أن يهتم المتخصصون بإجراء تحليل واف شامل لعلنا نستفيد جميعا – إن أردنا - من التاريخ للمستقبل.

أصل الاسم:

اسم مصر في العربية واللغات السامية الأخرى مشتق من جذر سامي قديم قد يعنى البلد أو (البسيطة الممتدة) ، و قد يعني أيضا الحصينة أو المكنونة.

الاسم العبري مصرايم מִצְרַיִם مذكور في التوراة على أنه ابن لنوح ، وهو الجد الذي ينحدر منه الشعب المصري حسب الميثولوجيا التوراتية ، وهذا ما قاله العرب من أن هذه المنطقة سميت باسم مصر قبل الطوفان " طوفان نوح " عندما نزلها نقراوس بن مصرا يم بن مركابيل بن روابيل بن غرياب بن آدم عليه السلام.
وقد أسماها نقراوس علي اسم أبيه "مصرا يم" تكريما له وتعبيرا عن تقديره وحبه له.

يري آخرون أنها سميت بهذا الاسم نسبة إلي مصر بن بنصر بن حام بن نوح الذي نزلها بعد الطوفان.

الاسم الذي عرف به المصريون موطنهم هو *كِمِت* ، وتعني "أرض السواد" ، كناية عن أرض وادي النيل السوداء الخصبة تمييزا لها عن الأرض الحمراء الصحراوية *دِشْرِت* ، و أصبح الاسم لاحقا في المرحلة القبطية من اللغة *كِمي* في اللهجة البحيرية و خمي في اللهجة الصعيدية.

الأسماء التي تعرف بها في لغات أوربية عديدة مشتقة من اسمها في اللاتينية *إجبتوس* Aegyptus المشتق بدوره من اليوناني *أيجيبتوس* Αίγυπτος، و هو اسم يفسره البعض على أنه مشتق من *حوط كا بتاح* أي *محط روح بتاح* اسم معبد بتاح في منف (العاصمة القديمة).

نبذة عن جغرافيا مصر:

تقع مصر فلكيا بين خطي عرض ٢٢ و ٣٢° شمال خط الاستواء ، وبين خطي طول ٢٤ ، ٣٧ شرقي خط جرينتش.

تقع مصر فى أقصي الشمال الشرقى لقارة أفريقيا ، وتبلغ مساحة مصر مليون وألف أربعمائة وخمسين كيلو متر مربع (منها حوالى ستة آلاف كيلو متر مربع مياه والباقى يابسة) ، يحدها شمالا البحر الأبيض المتوسط بساحل طوله ٩٩٥ كم - جنوبا جمهورية السودان بطول ١٢٨٠ كم – شرقا البحر الأحمر بساحل طوله ١٩٤١ كم – - فى الشمال الشرقى فلسطين وإسرائيل بطول ٢٦٥ كم - غربا الجماهيرية الليبية بطول ١١١٥ كم.

التضاريس :

تنقسم مصر من الناحية الجغرافية إلى أربعة أقسام رئيسية:

١- وادى النيل والدلتا : ومساحته حوالى (٣٣ ألف كم٢)
٢- الصحراء الغربية : وتشغل حوالى (٦٨١ ألف كم٢)
٣- الصحراء الشرقية : مساحتها حوالى (٢٢٦ ألف كم٢)
٤- شبه جزيرة سيناء : تشغل حوالى (٦١ ألف كم٢)

١ - وادي النيل والدلتا :

يبدأ وادي النيل جنوباً من شمال وادي حلفا حتى البحر المتوسط ، وينقسم إلي مصر العليا (الصعيد) من حلفا إلى جنوب القاهرة ، ومصر السفلي (دلتا النيل) وتمتد من شمال القاهرة إلي البحر المتوسط. ويمتد نهر النيل من الحدود المصرية جنوبا إلى مصبه في البحر المتوسط شمالاً[١]

ويتفرع النيل شمال القاهرة إلي فرعين رئيسيين هما فرع دمياط وفرع رشيد ، اللذان يحصران بينهما مثلث الدلتا الذي يعد من أخصب الأراضي الزراعية.

٢- الصحراء الغربية (الليبية):

تمتد من وادي النيل في الشرق حتى الحدود الليبية في الغرب ومن البحر المتوسط شمالاً إلي الحدود المصرية الجنوبية ، وتنقسم إلي :

- القسم الشمالي ويشمل السهل الساحلي والهضبة الشمالية ومنطقة المنخفضات العظمي ، والتي تضم واحة سيوة ومنخفض القطارة ووادي النطرون والواحات البحرية.
- القسم الجنوبي ويشمل واحات الفرافرة والخارجة والداخلة ، وفي أقصي الجنوب واحة العوينات.

٣- الصحراء الشرقية :

تمتد بين وادي النيل غربا والبحر الأحمر وخليج السويس وقناة السويس شرقا ومن بحيرة المنزلة علي البحر المتوسط شمالاً حتى حدود مصر مع السودان جنوباً.

وتتميز الصحراء الشرقية بوجود المرتفعات الجبلية التي تطل علي البحر الأحمر ويصل ارتفاعها إلي حوالي ٢٠٠٠ قدم فوق سطح البحر ، وتعتبر هذه الصحراء بمثابة مخزون الموارد الطبيعية المصرية من خامات المعادن المختلفة من ذهب وفحم وبترول.

٤- شبه جزيرة سيناء:

وهي علي شكل هضبة مثلثة الشكل قاعدته علي البحر المتوسط شمالاً ورأسه جنوباً في منطقة رأس محمد وخليج العقبة من الشرق وخليج السويس وقناة السويس من الغرب

وتنقسم سيناء من حيث التضاريس إلي ثلاثة أقسام رئيسية هي :

- القسم الجنوبي : وهو منطقة وعرة شديدة الصلابة تتألف من جبال جرانيتية شاهقة الارتفاع ، ويصل ارتفاع جبل كاترين نحو ٢٦٤٠ متراً فوق سطح البحر ، وهو أعلي قمة جبلية في مصر.
- القسم الأوسط: منطقة الهضاب الوسطي أو هضبة التيه ، وتنحدر أودية هذه الهضبة نحو البحر المتوسط انحداراً تدريجياً.
- القسم الشمالي : وهو يضم المنطقة المحصورة بين البحر المتوسط شمالاً وهضبة التيه جنوباً ، وهو عبارة عن أرض منبسطة ومنطقة سهلية تكثر فيها موارد المياه الناتجة عن الأمطار التي تنحدر مياهها من المرتفعات الجنوبية وهضبات المنطقة الوسطي.

في أقصي جنوب البلاد توجد بحيرة ناصر ، وهي بحيرة صناعية نشأت من المياه المتجمعة قبل السد العالي عند أسوان.

أما في الشمال الغربي فتوجد بحيرة قارون في الفيوم ، وهي أحد أكبر البحيرات الطبيعية في البلاد. الإرتفاعات الجبلية في البلاد تتركز في جنوب مصر وعلى شبه جزيرة سيناء ، يمكن وصف باقي طبيعة البلاد بطبيعة صحراوية أو شبه صحراوية.

مصر القديمة:

منذ نحو ٢٥٠ ألف سنة ق.م. (قبل ميلاد السيد المسيح – وفقا للتقويم الميلادى) فى عصور ماقبل التأريخ كانت مصر موئلا للإنسان البدائى الذى كان يحصل على قوته من جمع ثمار الأشجار ومايستطيع صيده من الأسماك وصغار الحيوانات .... حيث كانت المنطقة فى أقصى الجنوب (النوبة) غنية بالغابات والحشائش لتميز هذه الفترة بالأمطار الغزيرة ، وكانت الدلتا خلال تلك الفترة غارقة فى مياه البحر.

ومنذ حوالى ٢٥ ألف سنة ق. م. حدثت هزة أرضية هائلة ، وحدث إرتفاع فى الأرض وتعرضت هذه المنطقة للتصحر (نقص المياه) .... خلال تلك المدة الطويلة كانت مياه الأمطار تشق طريقها من الجنوب إلى الشمال محدثة تجويفا عميقا فيما يسمى حاليا بنهر النيل.

هذه التغيرات أدت إلى وجود نوع من الإستقرار ، فلم يعد هناك مبرر لكثرة التنقل لجمع الغذاء ، حيث وجد الإنسان نفسه مجبرا على محاولة إنتاج الغذاء فى ضوء إنحسار الغابات وقلة الأمطار ، ومن هنا أجبرته الزراعة على الإقامة على ضفاف النهر فى مكان محدد لرعاية محصوله كما تعلم تربية الدواجن وإستئناس بعض الحيوانات ، وإستطاع بناء بيوت وصنع بعض الأدوات والأوانى من الطين .

وجود المجتمعات الزراعية حول نهر النيل وإستقرار الإنسان سمح بظهور الحضارات القديمة ، وأهم تلك الحضارات حضارة مرمدة بالدلتا وحضارة البدارى بأسيوط .

تميزت هذه الحضارات القديمة بمعرفة الزراعة وطرق الرى وتربية الطيور والحيوانات وصناعة الفخار والتعدين وأدوات الزينة والأثاث والتماثيل.

وعبر تلك السنوات البعيدة استطاع المصريون القدماء تحقيق تقدم كبيرفى أساليب الزراعة والرى ، كما أنشأوا أول مرصد فلكى لرصد حركة الشمس والنجوم ، وإستطاعوا معالجة ورق البردى ليكتبوا عليه لغتهم الهيروغليفية (وهى كتابة تصويرية) ، وإستطاعوا الكتابة والرسم على جدران المعابد المنحوتة من الأحجار ، كذلك إبتدعوا مفاهيم الحساب والهندسة والطب والصيدلة ، وحققوا إنجازات مذهلة فى مجال الفنون والعمارة فيما بعد خاصة فى بناء الأهرامات والمعابد والمسلات ؛ إنجازات مازال العالم يتحدث عنها إلى اليوم كمعجزات لم يستطع بعد الوصول إلى أسرارها.

كان من أهم الأشياء التي شغلت فكر المصري القديم هي أصل الخلق ، لذا ظهرت العديد من القصص والأساطير حول بداية الآلهة والكون ؛ والتى أظهرت إيمان المصريين القدماء بوجود قوى عليا تفوق قوى الإنسان وقدرته ، تلك القوى التى تمنح الإنسان الخير والنماء وقد تحكم عليه بالضر والشقاء ... لذلك آمن المصريون القدماء بوجود إله .. إلا أن تفكيرهم أوصلهم لوجود إله لكل صفة أو مخلوق .. فهذا إله الخير وهذا إله الشر وهذا إله النيل وتلك إلهة الشمس إلى غير ذلك .. وقاموا بالرمز لكل إله بشكل بشرى أو حيوانى أو خليط منهما.

كان الإله حورس فى بداية الأمر هو الإله الرئيسى فى كل من المملكتين (مملكة الدلتا ومملكة الصعيد)... ولم يتوان المصريون القدماء فى تشييد المعابد التى يقدسون فيها آلهتهم .. ويحترمون الكهنة الذين تفرغوا لخدمة الآلهة ونقل أوامرهم ، وكانوا الوسيط بين الآلهة والشعب ، وكان يعتبرون الملك ممثلا لحورس على الأرض.

كان قدماء المصريين يؤمنون بفكرة الحياة بعد الموت ، وكانت الديانة المصرية القديمة تقول إن الإنسان لا يمكن أن يبعث في الآخرة إلا بعد أن تعود الروح إلى الجسد ، وإعتقد قدماء المصريين أنه ينبغي تحنيط الميت لحماية جثته من التحلل كي تتمكن الروح من العثور على الجسد سليما لتتم عملية البعث.

وقد طور المصريون القدماء أساليب التحنيط على مدى مئات السنين ، وإكتشفوا أنه يجب في البداية إزالة الأعضاء الداخلية لحماية الجثة من التحلل ، ثم معالجتها بالأملاح والأصماغ وزيت الأرز والعسل والقار بهدف تجفيفها وحمايتها من الجراثيم.

ويعتبر العصر الفرعوني – عصر حكم الفراعنة (حوالى ٣٢٠٠ سنة قبل الميلاد) - هو بداية التأريخ لمصر بشكل متواتر شبه كامل ، حيث وجدت حفريات وآثار منذ ذلك الوقت ساعدت على إقتفاء أثر القدماء ومعرفة الكثير من أخبارهم وأحوالهم.

وكما ذكرنا آنفا ففى النفس البشرية قوى الخير كما أن فيها قوى الشر ...

فقد هوجمت مصر خلال العصر الفرعونى من قبائل وشعوب أخرى من جميع الإتجاهات ، وإستطاعت تلك القبائل إحتلال مصر لفترات ونهب ثرواتها ، وإستطاع الفراعنة طرد المحتلين عدة مرات ... إلا أن العصر الفرعونى شهد فى ربعه الأخير إحتلال الآشوريين لمصر ، وإنتهى هذا العصر بإحتلال الإغريق.

وتعاقب المحتلون على مدار مئات بل آلاف السنوات ، حيث يقوم المحتل الجديد بطرد المحتل القديم ليحل مكانه ويستغل ثروات مصر وخيراتها ...

والشعب المصرى مسالم فى معظم الأحوال ، يعبر عن رأيه المؤيد أو المعارض بحكاية أو نكتة ... يفرح بالمحتل الجديد ، وقد يستنجد به ويساعده ليتخلص من المحتل القديم وجبروته ، ويحل المحتل الجديد مكانه.
وقد يدخل الشعب المصرى فى صراعات وحروب لاناقة له فيها ولاجمل ، يدفعه إليها المحتلون ليستفيدوا من قوة الرجال ووفرة الأموال ، هذه الصراعات التى تنتهى لصالح طرف محتل وبعضها يكون ضد رغبة واتجاه الشعب المصرى ، ولكنه يرضخ فى النهاية لقدره.

ويظل المحتل الجديد بمصر مدة تطول أو تقصر حتى يزداد جبروته ، ويظهر محتل آخر فى الأفق يساعده الشعب المصرى ليتخلص به من المحتل السابق ، وهكذا على مدار أكثر من ثلاثة آلاف سنة ...

ولنستعرض معا تاريخ مصر .....

عصر الأسر المبكرة
الأسرة الأولى والثانية

(٣٢٠٠ – ٢٧٨٠ ق.م.)

حتى حوالى سنة ٣٢٠٠ ق. م. (قبل ميلاد السيد المسيح) ، كانت القبائل قد تجمعت وتوحدت وأفرزت مملكتين إحداهما فى الشمال (الدلتا) وتاجها باللون الأحمر ، وأخرى فى الجنوب (الصعيد) وتاجها باللون الأبيض ... حتى أتى الملك مينا (نارمر) الذى استطاع توحيد المملكتين ، وتوج نفسه ملكا على الشطرين وكان تاجه عبارة عن تاجى المملكتين ، وجعل عاصمة مصر منف (ممفيس).

نار مر = نعر مر ومعناها القرموط الغاضب

وكان الحاكم يضفى صفة الألوهية ليضمن طاعة وولاء الشعب ، ويطلق عليه لقب فرعون ؛ ولذلك سميت تلك العصور بالعصور الفرعونية.

وهكذا بدأ عهد الأسربمصر القديمة وعددها ثلاثون أو إحدى وثلاثون أسرة ... ويسمى علماء التأريخ الفترة السابقة على الملك نارمر (عصر ماقبل الأسرات أو عصر نشأة الأسرات) ... وقد إستطاعت الأسر فى العصر الفرعونى – فى أغلب الأحيان - تنظيم الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية بمصر منذ ذلك العهد البعيد ؛ مما ساعد على إستمرار الإبداعات وتحقيق إنجازات يقف العلم الحديث أمامها حائرا عن تفسيرها عاجزا عن تقليدها.

وقام الملك زوسر فى نهاية تلك الفترة ببناء هرمه المدرج بسقارة. والهرم بناء هائل من الحجارة يعد لدفن ملك مصر (الفرعون) أو أحد العظماء ، بداخله حجرات عديدة وممرات لحفظ تابوت الملك (جثمانه) وأدواته وطعامه وشرابه وحيواناته المفضلة وتماثيله إستعدادا لرحلته نحو العالم الآخر ، كما تحتوى بعض الأهرامات على حجرات وهمية لتضليل اللصوص.

وحتى الآن مازلنا نتساءل كيف استطاع المصريون القدماء جلب الأحجار الكبيرة إلى موقع بناء الهرم ، وكيف إستطاعوا تقطيع هذه الأحجار تقطيعا منتظما ورفعها ووضعها فى هذا الشكل المتناسق وتثبيتها فوق بعضها ، وكيف استطاعوا رسم وتنفيذ الممرات والحجرات الداخلية ، ومازال العلماء يحاولون تفسير بعض أسرار الأهرام.

ويمكن القول أن الأجيال القليلة السابقة على بدء الأسرة الأولى والفترة التى حكم أثناءها ملوك الأسرتين الأولى والثانية هى الفترة التى تفاعلت فيها عناصر الحضارة فى مصر ، كانت هى فترة التجارب والمحاولات التى قضاها شعب فتى فى مستهل أيام حضارته حتى إستقر على أوضاع خاصة إرتضاها لنفسه ووجد أنها تعبر تمام التعبير عما يريده ، سواء فى الدين أو فى الفن أو فى الحياة بوجه عام ، فإستمسك بها وحافظ عليها لأن أساسها كان قويا متينا ثابت الأركان ، فلما تقدمت به مدنيته إستطاع أن يرتفع بالبناء فوق هذا الأساس فلم يخب ظنه فيه ، وعندما أتصل بغيره من الحضارات فيما بعد لم يجد من بينها ما يلائم حياته أو ذوقه خيرا مما كان لديه فزاده ذلك إستمساكا به

(مصر الفرعونية – د.أحمد فخرى - بتصرف)

الدولة القديمة
الأسر الثالثة – الثانية عشر
(٢٧٨٠ - ١٧٨٠ ق.م.)

ومن أهم ملوكها سنفرو (وكان يلقب بالملك المحسن المحبوب لعدله بين رعيته) ، ويعد صاحب أول نهضة حيث نظم حملة عسكرية لتأمين جنوب مصر وأنشأ أسطولا بحريا ، وأهتم بالتجارة الخارجية وفنون النحت والرسم مع تنظيم الأمور الداخلية.

وقام الملك خوفو ببناء الهرم الأكبر الذى ظل أعلى بناية فى العالم حتى القرن ١٩ ميلادى.

كما قام ابنه الملك خفرع ببناء الهرم الأوسط وتمثال أبى الهول ، وقام الملك من كاو رع ببناء الهرم الأصغر.

خف رع معناها المتجلى مثل رع
من كاو رع معناها طويل العمر بقوة رع

وتعد الأهرام الثلاثة من عجائب الدنيا السبع ، وبخاصة الهرم الأكبر.

وقد تميزت هذه الفترة بالتقدم الكبير فى بناء المعابد والقصور والأهرام وفن العمارة بشكل عام ، بخلاف التقدم فى مجال التعدين وتنظيم الأمور الداخلية ورواج حركة التجارة الخارجية عن طريق الأسطول البحرى.

لم تخل هذه الفترة من وجود بعض المؤامرات بين أفراد العائلة المالكة بسبب الرغبة فى إعتلاء العرش ، والتى بدأت مبكرا بعد وفاة الملك خوفو.

ولايمكن إغفال أن بناء الأهرام والمعابد والقصور أثقل كاهل البلاد والخزانة لصالح الحكام الفراعنة على حساب الشعب الفقير بخلاف تشغيل آلاف العمال مدد طويلة دون أجر.
كل ذلك أدى إلى قيام ثورة شعبية خلال حكم الأسرة السادسة ... قام فيها الشعب بالإضراب عن دفع الضرائب وتوقفت التجارة الخارجية ونهبت مخازن الحكومة والقصور والمعابد وعمت الفوضى ؛ مما أدى إلى قيام كل حاكم منطقة بالاستقلال بها ومحاولة ضم أملاك غيره ، وهكذا عادت الحياة إلى سابق عهدها قبل عصر الأسرات.

عادت الصراعات والحروب بين الشمال والجنوب والتى استمرت طوال حكم الأسر السابعة حتى الأسرة الحادية عشر ...

وأخيرا استطاع الملك منتوحتب الثانى أقوى ملوك الأسرة الحادية عشر توحيد مصر مرة أخرى ليحكمها حكام طيبيين (من طيبة بالأقصر).

أخذت مصر تنهض من كبوتها شيئا فشيئا ، وتستعيد جزءا مما فاتها خلال سنوات الصراع والتفكك ، وساعد على ذلك قوة الملوك واستقرار الحكم خاصة ملوك الأسرة الثانية عشر ، وأهمهم سنوسرت الثالث (حكم لمدة ٣٨ سنة) ، وابنه الملك أمنمحات الثالث (حكم حوالى ٥٠ سنة) حيث عم الرخاء والطمأنينة.

الدولـــــة الوسطى
الأسرة الثالثة عشر – السابعة عشر
(١٧٨٠ - ١٥٥٠ ق.م.)

تعاقب خلال هذه الفترة على حكم مـصر أكثـر مـن سـبعيــن ملكـا ، ولـم يكـن ملـوك الأسـرتين الثالثـة عـشر والرابعـة عـشر بـالقوة أو الحكمة التى تحافظ على إنجازات الأسـر الـسابقة ، ممـا أدى إلـى تفكك البلاد وضعفها.

قـام الهكـسوس (وهـم قبائـل مـن آسـيا – يعتقـد أنهـم مـن أرض فلسطين – طردوا أبان الحضارة البابلية والآشورية ، ويجمع المؤرخون علـى أنهـم خلـيط مـن أجنـاس عديـدة أهمهـا الأعـراب والآراميـين) بالهجرة والإستيطان فى مصر.

ولما ضعفت شوكة الفراعنة خلال حكم الأسـرة الرابعة عشـر ، قاموا بالتجمع وفرض سيطرتهم والاستيلاء علـى شـمال مـصر (الـدلتا) ، واتخذوا عاصمة لهم باسم اورايس.

كان الهكسوس قوما مخربين ذبحوا الرجال وأسروا النساء والأطفـال وهدموا المعابد ونهبوها ، وقام ملوكهم بحكم مصر لمدة تزيـد علـى مائة عام ..

كان الهكسوس يأخذون الجزية ممن والاهم من أمـراء الـبلاد الـذين ظلوا على رأس إماراتهم وآثروا الـسلامة والمركـز فلـم يـدافعوا عـن وطنهم.

يعتقد أن نبى الله ابراهيم (حـوالى ١٨٦١ – ١٦٨٦ ق م) ونبـى الله يوسـف (حـوالى ١٦١٠ -١٥٠٠ ق م) عاشـا فـى مـصر خـلال تلـك الفترة.

الدولة الحديثة
الأسرة الثامنة عشر – العشرين

(١٥٥٠ - ١٠٧٠ ق.م.)

بدأ بعض أمراء الصعيد يحسون بقوتهم وخاصة أمراء طيبة ، فإمتنعوا عن دفع الجزية لملوك الهكسوس ، وبدأ الاحتكاك بين الطرفين ....

إستطاع أحمس الأول طرد الهكسوس ، وكان أحمس الأول قد تولى الحكم فى سن العاشرة بعد وفاة والده سقننرع وإستشهاد أخيه كامس فى الحرب ضد الهكسوس.

وبعد طرد الهكسوس أسس أحمس الأول الأسرة الثامنة عشر ، وقام بإصلاح البلاط الملكى وتوطيد النظام الداخلى وتعمير المعابد ، وبدأ عهد جديد من النهضة الحديثة ، وظل حكمه حوالى خمسة وعشرين عاما.

أحمس = إباح مس ومعناها ولد القمر (الهلال)

أهم ملوك الدولة الحديثة:

تولى الحكم بعد أحمس الأول ابنه (آمون حوتب) الأول وحكم مصر مدة حوالى عشرين عاما ، ثم ابنه (تحوت مس الأول) والذى حكم مصر لمدة اثنى عشر عاما.

- تحوت مس الثانى:

كان ابنا غير شرعى للملك (تحوت مس الأول) ، ولذلك رضخ لرغبة والده بتزويجه من أخته حتشبسوت (الإبنة الكبرى للملك تحوت مس الأول) حتى يضفى الشرعية على العرش ، وكان ملكا ضعيفا لم يستمر حكمه كثيرا.

- تحوت مس الثالث:

توفى الملك (تحوت مس الثانى) تاركا العرش لابنه (تحوت مس الثالث) وهو دون السادسة ، فقامت حتشبسوت وهى عمته وزوجة أبيه فى نفس الوقت بتنصيب نفسها وصية على العرش ، ثم قامت بعد سنتين بتنصيب نفسها ملكة للعرش وحكمت مصر لمدة تجاوز عشرين سنة ، وتميز عهدها بقوة الجيش وكثرة الرحلات البحرية ورواج التجارة ، كما بنى الدير البحرى فى عهدها ، وبعد ذلك اختفت ؟!

تولى (تحوت مس الثالث) عرش والده بعد إختفاء حتشبسوت ... وكان ملكا محاربا حيث قام بسبعة عشر حملة عسكرية على آسيا (منطقة سوريا وفلسطين).

قام (تحوت مس الثالث) بتشييد معابد وأضرحة فى الكرنك والدير البحرى وجزيرة فيلة ، وإزدهرت التجارة ، وأسس إمبراطورية واسعة ضمت فلستين وسوريا حتى وصل إلى بلاد الفرات.

وكان حكمه – الذى إستمر نحو أربعة وخمسين سنة - يتميز بالحزم واللين فى نفس الوقت ، وكان قائدا حربيا من الطراز الممتاز بخلاف حنكته فى إدارة الشئون الداخلية.
يعتقد أن نبى الله موسى (حوالى ١٤٣٦ – ١٣١٦ ق م) عاش بمصر خلال تلك الفترة.

- آمون حتب الرابع (إخن آتون):

حكم مصر مع زوجته نفرتيتى حوالى ١٧ سنة ، حاول توحيد آلهة مصر القديمة بما فيها الإله (آمون رع) فى شكل إله واحد يتمثل فى قرص الشمس (آتون) ، ونقل العاصمة من طيبة إلى أخت آتون بالمنيا ، وتبعه بعض رجال البلاط وكثير من عامة الناس.
إنشغل الملك بإصلاحاته الدينية وقرر تحريم عبادة آلهة أخرى ، وإنصرف عن السياسة الخارجية وإدارة المملكة (من الفرات حتى النوبة) فانفصل الجزء الآسيوى منها.

لم تعجب هذه الدعوة كهنة آمون والمحافظين من رجال الدولة ، مما دعا (إخن آتون) إلى إقصاء من لم يتبعه فى دينه الجديد وتقريب الذين إستطاعوا كسب ثقته بما كانوا يبدونه من حماس صادق أو مصطنع ...

وأصبحت وظائف الدولة فى أيدى فئة حديثة العهد بفن الحكم فى وقت كانت البلاد فى أشد الحاجة إلى خبرة الموظفين الأكفاء ، سواء على المستوى الخارجى للقضاء على القلاقل بسوريا وفلستين أو على المستوى الداخلى للقضاء على المؤامرات والحفاظ على الإدارة الحكومية من التفكك ، والمحافظة على وحدة الشعب من الإنقسام الدينى.

آمون حتب معناها مظهر آمون إله وسيد طيبة
إخن آتون معناها الجميل مع قرص الشمس

- توت عنخ آمون:

تولى الحكم بعد وفاة أخيه الملك آمنون حتب الرابع (إخن آتون) وهو فى التاسعة من عمره ، وكانت هناك ثورة فى تل العمارنة ضد حركة الفرعون السابق بنقل العاصمة وتوحيد الآلهة ، مما دفع توت عنخ آمون فى السنة الثالثة لحكمه إلى إعادة العاصمة إلى طيبة مع رفع الحظر المفروض على عبادة الآلهة المتعددة.

حاول توت عنخ آمون إعادة الأمور إلى ماكانت عليه ، فأوكل إلى وزيره الأول (خير خيرو رع آى) إدارة الشئون الداخلية ، ويعتقد أنه اشترك معه فى الحكم وذو صلة كبيرة بكهنة آمون والمدبر لانتقال توت عنخ آمون إلى طيبة ، كما أرسل القائد حور محب على رأس حملة لإعادة الأمن إلى بعض ولايات فلستين.

لم يستمر حكم توت عنخ آمون أكثر من أحد عشر عاما ، وتوفى فى سن التاسعة عشر فى ظروف غامضة.

- خير خيرو رع آى:

وهو الوزير الأول للملك توت عنخ آمون ، تولى الحكم بعد زواجه بأرملته ، ولم يستمر حكمه أكثر من أربع سنوات ، وتوفى فى ظروف غامضة.

- حور محب:

وهو الوزير الثانى للملك توت عنخ آمون والذى تولى الحكم بعد وفاة سلفه ، وقام بطمس معظم الأدلة على فترة حكم الملك توت عنخ آمون والملك خير خيرو رع آى ، واستمر حكمه حوالى ثلاثين عاما.

حاول حور محب استكمال الإصلاح الداخلى وأمر بإصلاح المعابد وترميمها ، كما عقد معاهدات تضمن استقرار الأمور على الحدود مع تنظيمه لأمور الجيش مما أعاد لمصر ثقتها فى نفسها وأعاد إليها الطمأنينة.

ونظرا لعدم وجود نسل للملك حور محب من الرجال ؛ فقد اختار وزيره (رع مس يس) الأول ليكون خلفا له على عرش مصر، ويعتبر رع مس يس الأول أول ملوك الأسرة التاسعة عشر.

رع مس سومرى امون = روح رع ومحبوب آمون

- رع مس يس الثانى:

تولى الحكم وهو فى العشرينات من عمره بعد وفاة والده سيتى الأول (ابن رع مس يس الأول) ، وكانت أشهر زوجاته نفرتارى.

قاد (رع مس يس الثانى) عدة حملات عسكرية نحو الشمال (بلاد الشام) ، وكانت أهم معركة هى معركة قادش الثانية مع ملك خيتا (مملكة خيتا بدأت بالأناضول وامتدت إلى سوريا حتى وصلت إلى حدود مصر ، وبدأت المواجهات منذ عهد تحتمس الثالث – ونقل إسمهم بالخطأ الحيثيين بدلا من الخيتيين) ...

حين بدأت الحرب إستطاع الخيتيون خداع (رع مس يس الثانى) وإستدراجه إلى الموقع الذى يريدونه وحدث إضطراب شديد ، وهجم الخيتيون على الجيش المصرى هجوما مفاجئا مما أربكهم ودفع كثير من جنود (رع مس يس الثانى) إلى التخلى عنه والهرب من أرض المعركة ،

مما كاد يكبده هزيمة نكراء لولا شجاعته وثباته مع قلة من الجنود.

لم ينته الصراع بإنتصار طرف على آخر ؛ مما أدى إلى إبـرام أقدم معاهدة سلام فى التاريخ بمقتضاها يحترم كـل طـرف حدود الآخر ولايتدخل فى شئون رعاياه.

ورغم تـأثر (رع مـس يـس الثـانى) الـشديد بمـا حـدث مـن تخلى الجنود عنه ؛ إلا أنه عاد إلى مصر حاملا أنباء إنتصاره الساحق فى معركة قادش والتى وصفها للشعب على أنها الحقيقة ، ولم يـنس أن يـصور هـذه المعركـة علـى جـدران المعابد لتظل باقية كذكرى إنتصار عظيم للأحفاد.

ومايؤكد هذه الواقعة آثار الخيتيـين أنفـسهم (الـذين صـوروا أخبار إنتصارهم على رع مس يس الثانى فى معركة قادش الثانيـة وكيفيـة خداعـه) ، بالإضـافة إلـى عـدم وجـود مبـرر لتوقيع معاهدة سلام فى حال إدعاء إنتـصار (رع مـس يـس الثانى).

قاد (رع مس يـس الثـانى) عـدة حمـلات عـسكرية ناجحـة للحفاظ على سيادة مصر على فلستين والشام. ... تـوفى الملك (رع مس يس الثانى) عن عمر يتعدى التسعين عاما ، بعد أن حكم مصر أكثـر مـن سـبعة وسـتين عامـا ، ودفـن بوادى الملوك بالأقصر ، وعثر على مومياءه كاملة.

- رع مس يس الثالث:

تولى الحكم حوالى واحد وثلاثين سنة.

قام (رع مس يس الثالث) بعدة حملات عسكرية بغرض إخماد الثورات بآسيا (فلستين وسوريا) ، وصد الهجمات الغربية من جانب ليبيا.

فى أواخر حكمه زاد الإعتماد على الموظفين الأجانب ، وزادت الأزمة الإقتصادية بشكل مريع بما فى ذلك ظلم الموظفين الحكوميين للطبقات الفقيرة ، وركن رع مس يس الثالث إلى اللهو ، مع زيادة سطوة الكهنة وثرواتهم على حساب الفقراء.

وإنتهت حياته بقتله نتيجة مؤامرة من إحدى زوجاته مع بعض أتباعه وموظفيه.

تولى الحكم بعد ذلك (رع مس يس الرابع) حتى (رع مس يس الحادى عشر) ، ولذلك سمى هذا العصر بعصر الرعامسة.

كان سلطان الملوك يتضاءل شيئا فشيئا ، حيث كانوا يعيشون فى قصورهم تاركين إدارة البلاد لوزير بمنف للشمال ووزير بطيبة للجنوب ، ولكن السلطة الحقيقية كانت فى يد الكهنة ..

أخذ نفوذ مصر يقل تدريجيا فى آسيا حتى زال تماما .... مما أدى إلى إستيلاء الكهنة على العرش وتأسيسهم الأسرة الحادية والعشرين ، وإعلان كبير كهنة آمون - وكان اسمه (حريحور) - ملكا على مصر.

العصر المتأخر
الأسرة الحادية والعشرين – الرابعة والعشرين
(١٠٧٠ - ٧١٢ ق.م.)

تولى الكهنة حكم الأسرة الحادية والعشرين ، ثم إستولى (شاشانق الأول) - وهو قائد من أصل ليبى - على الملك بعد وفاة آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرين وإستطاع القضاء على القلاقل التى أحدثها الكهنة لخوفهم من تهديده لمركزهم وثروتهم.

كان شاشانق الأول حاكما قويا بسط نفوذه على لبنان وفلستين ، وكانت تربطه علاقة طيبة بالنبى سليمان (يذكر أنه تزوج بإبنة فرعون مصر) ، إلا أنه بعد موت النبى سليمان قامت بعض القبائل العبرانية بالثورة والاستقلال فيما أسموه المملكة الشمالية ، وقام الملك شاشانق الأول بمهاجمتهم والإستيلاء على كنوز الهيكل ، كما قام بتدمير القدس وسبى أهلها ونهب بيت الرب يهوذا وآلاف الأتراس الذهبية المصنوعة فى عهد النبى سليمان ، كما قام بحملات دمر فيها عشرات المدن اليهودية ، وكان لهذه الحملة الحربية أثرعظيم لتوطيد مركز مصر فى فلستين ولبنان.

توالى أبناء شاشانق الأول وأحفاده على الحكم ، وعلى مدار الزمن ضعفت سلطة الملوك وقويت سلطة أمراء الأقاليم وانقسمت مصر على نفسها من أثر الثورات ، وظل الحال كذلك طوال حكم الأسرة الثالثة والعشرين.

ثم استطاع أحد الأمراء توحيد أقاليم الدلتا تحت حكمه وهو الأمير (تاف – نخت) وتقدم إلى مصر الوسطى.

قام ملك نوبى يدعى كاشتا بتحرير النوبة من الإمبراطورية المصرية ، وأقام دولة نوبية عاصمتها مدينة نبتة أو نباتا.

تولى الحكم بعد كاشتا ابنه الملك (بعنخى) ، الذى إستنجد به المصريون لحماية طيبة فى الجنوب من خطر الملك الشمالى ، لذلك أرسل جيشا لتخليص البلاد من الفوضى ، وإصطدم الفريقان وكانت الغلبة للملك بعنخى.

بعد إنتصار الملك بعنخى على (تاف – نخت) قام بالزحف إلى الشمال دون أن يجد مقاومة تذكر ، حتى إستطاع الاستيلاء على منف واستطاع إعادة توحيد مصر تحت قيادته.

بعد سقوط منف سارع أمراء الدلتا إلى تقديم الولاء والخضوع إلى الملك بعنخى ، كما إستسلم الأمير (تاف – نخت) فى النهاية .... وبذلك أصبح الملك بعنخى سيد مصر والسودان.

عاد الملك بعنخى إلى نباتا ، مما أغرى (تاف – نخت) بتوطيد سلطانه وتنصيب نفسه ملكا على الشمال وتأمين الحدود الشرقية مؤسسا الأسرة الرابعة والعشرين ، وإستمر حكمه لمدة عشر سنوات.

وخلفه ابنه (باك ان رنف) الذى حكم لمدة ست سنوات حتى إنتصر عليه (شاباكو) ابن الملك بعنخى الذى زحف إلى الشمال ليستعيد السيطرة على الدلتا ، وإستطاع الإنتصار على (باك ان رنف) وقام بأسره وأمر بإحراقه ، وبذلك إنتهت فترة حكم الأسرة الرابعة والعشرين.

العصر بعد المتأخر
الأسرة الخامسة والعشرين – الثلاثين
(٧١٢ - ٣٢٣ ق.م.)

بدأ حكم الأسرة الخامسة والعشرين بالملك (شاباكو) الذى إستمر حكمه حوالى ستة عشر سنة ، وخلفه أخوه (طهرقا) الذى وجه إهتمامه إلى الإصلاح الداخلى ، وكان يساعد ثورات الفلستينيين والفينيقيين ضد الآشوريين ، مما دفع الآشوريون إلى التقدم نحو مصر لتأديبها وساعدهم بدو صحراء سيناء على نقل المؤن وكانوا الأدلاء فى السير حتى وصلوا إلى منف فحاصروها وإستولى الآشوريون عليها ، وكان لهم حكم الدلتا.

وبعد سنوات قليلة إستطاع (طهرقا) العودة مرة أخرى وهزم الحامية الآشورية وإستعاد منف ، إلا أن الآشوريين أرسلوا جيشهم ؛ فاستولوا على منف وقبضوا على الأمراء المتمردين وإندفعوا نحو طيبة التى وقعت فريسة لهم ، وذاق أهلها مرارة الأسر والهوان وذاقت معابدها الأمرين من النهب والتخريب.

- بسماتيك الأول:

وهو ابن لأمير وطنى (نخاو الأول) وكان معينا من آشور ، وبعد وفاة والده وإنتصار آشور للمرة الثانية على طهرقا تمكن بسماتيك الأول من الإختفاء لفترة بالدلتا ، وكان صديقا للقائد (جيجس) اليونانى الذى إغتصب عرش ليديا ، وأرسل (جيجس) جنودا مرتزقة مدربين إلى بسماتيك الأول لمحاربة الآشوريين.

إستطاع بسماتيك الأول تحرير مصر من حكم الآشوريين (المكروهين من الشعب) وفرض سيطرته على طيبة ، وبذلك حطم آخر مظاهر سيطرة الأسر النوبية على جنوب مصر ... وقاد عدة حملات للقضاء على الحكام الإقليميين الذين عارضوا توحيده لمصر.

أسس (بسماتيك الأول) علاقات قوية مع الإغريق ، وشجع العديد منهم على الإستقرار فى مصر والإنخراط فى الجيش المصرى ،إستمر حكم بسماتيك الأول أكثر من خمسين عاما حافظ خلالها على إستقلال مصر.

إستمر الحال كما تركه بسماتيك الأول ، غير أن المصريين ثاروا ضد اليونانيين لزيادة الإعتماد عليهم فى الجيش وزيادة نفوذ وثروة تجارهم ، واستطاع الملك أحمس الثانى (أحد أحفاد بسماتيك الأول) بلباقته وسياسته الحكيمة تهدئة الثورة دون جلب عداوة اليونانيين.

وفى عهد الملك بسماتيك الثالث قام قمبيز قائد الفرس بمهاجمة مصر بمساعدة أحد القواد اليونانيين الذى فر من الجيش المصرى ، وإستطاع الجيش الفارسى الإستيلاء على مصر.
إنتهت هذه الفترة بالإحتلال الفارسى الأول الذى إستمر حوالى ١٣٠ سنة (الأسرة ٢٧).

حاول المصريون الثورة على الاحتلال الفارسى إلا أن قبضة الفرس كانت قوية على عنق مصر ، وكان اليهود المقيمين بمصر - والذين فروا من مذابح الآشوريين إلى مصر - أعوانا للفرس ضد المصريين.

وقامت ثورة كبرى إتخذت شكل حرب مستمرة إنتهت بتحرير مصر ، حيث إستطاع أحد الملوك المصريين إنتزاع السلطة من الفرس بعد كفاح دام ست سنوات ، وأسس الأسرة الثامنة والعشرين وهو الملك (آمون حر) .. إلا أنه كان الملك الوحيد فى هذه الأسرة.
ظلت الأسر التالية فى صراع مع الفرس الذين إستطاعوا إستعادة السلطة مرة أخرى (الإحتلال الفارسى الثانى) ؛ إلا أن احتلالهم لم يدم طويلا – حوالى ثمانى سنوات - حيث إستنجد المصريون بالإسكندر الأكبر – القائد الإغريقى - لتخليص مصر من الفرس وطردهم.

العصر اليونانى (البطلمى)

٣٣٢ – ٣٠ ق.م.

قام الجيش اليونانى بقيادة الإسكندر الأكبر (الإسكندر المقدونى) بحملة ضد الفرس وإستمروا فى مطاردتهم ، وتوالت الإنتصارات وتقدم الجيش اليونانى حتى وصل إلى مصر ، حيث إستقبله أهلها كمنقذ من الإحتلال الفارسى.

قام الإسكندر الأكبر بالذهاب إلى معبد آمون ، وطلب أن يكون فرعونا على أرض مصر محاولة منه لإستمالة شعب مصر وعدم مقاومته ، ونادى به الكهنة ابنا للآلهة.

قام الإسكندر الأكبربيناء مدينة على رأس نهر النيل سميت على اسمه (الإسكندرية) ، وأنشئت بها جامعة الإسكندرية ، وإستطاع علماؤها التوصل إلى حقائق علمية هامة كدوران الأرض حول الشمس بخلاف التقدم فى علوم الطب والتشريح.

كان الإسكندر الأكبر أول حاكم لمصر خلال هذا العصر ، ثم توالى الحكام الذين كانوا بطليموس الأول حتى بطليموس الرابع عشر ، وتخلل ذلك العصر فترات حكم لحاكمات (كليوبترا الأولى حتى كليوبترا السابعة).

أنشأ البطالمة مكتبة الإسكندرية التى تعد أعظم مكتبة فى العالم ، وكانت تحتوى على أكثر من نصف مليون لفافة بردى.

إحترم البطالمة ديانة المصريين ، وأنشئ فى عصرهم معبد إدفو ومعبد دندرة ومعابد فيلة بأسوان.
تميز هذا العصر بكثرة الخلافات والفتن بين الحكام بمصر وبين قيصر روما ؛ لرغبة البطالمة فى الإستئثار بحكم مصر بعيدا عن الإمبراطورية الرومانية.

قام يوليوس قيصر - إمبراطور روما - بالزحف إلى مصر وراء عدوه بومبى (قائد رومانى كان ينافس يوليوس قيصر واتحد مع بعض النبلاء ضده وفروا من روما إلى اليونان) الذى إستنجد بملك مصر بطليموس الثالث عشر ، إلا أن مستشارى ملك مصر قتلوا بومبى أملا فى تحسين علاقتهم مع يوليوس قيصر ؛ غير أن يوليوس قيصر قام بقتل المستشارين المسئولين عن قتل بومبى وغرق بطليموس الثالث عشر وهو يحاول الهرب.

أعاد يوليوس قيصر كليوبترا السابعة إلى العرش بعد زواجها من بطليموس الرابع عشر.

كليوبترا السابعة:

أشهر ملكات البطالمة ، تولت الحكم فى سن السابعة عشر بعد وفاة والدها بطليموس الثانى عشر حيث تزوجت من أخيها بطليموس الثالث عشر وقاسمته حكم مصر.

بعد غرق بطليموس الثالث عشر إستطاعت كليوبترا الوصول إلى يوليوس قيصر الذى أعادها إلى العرش بعد زواجها من شقيق أصغر لها هو بطليموس الرابع عشر (حوالى اثنى عشر عاما) إلا أنه مات مسموما ويرجح البعض أنه سمم على يد أخته كليوبترا.

بعد وفاة بطليموس الرابع عشر إدعت كليوبترا السابعة الزواج من يوليوس قيصر - إمبرطور روما - وأنجبت منه قيصرون.

قامت كليوبترا السابعة بزيارة روما بدعوة من يوليوس قيصر ، إلا أنه أغتيل بعد شهر من زيارتها مما إضطرها إلى العودة سرا إلى الإسكندرية.

بعد إغتيال يوليوس قيصر تنازع على حكم روما كل من مارك أنطونيوس والقائد أوكتافيوس ، إنحازت كليوبترا إلى مارك أنطونيوس الذى تزوجته وأنجبت منه توأم وابنة.

إنتصر القائد أوكتافيوس على مارك أنطونيوس مما إضطر الأخير إلى الإنتحار ببقر بطنه بحد السيف.

ما أن سمعت كليوبترا بذلك حتى إنتحرت بسم إحدى الحيات ؛ لرفضها الذهاب إلى روما ذليلة منكسرة بعد هزيمة زوجها أنطونيوس أمام أوكتافيوس الذى رفض إنتقال العرش من كليوبترا إلى أبنائها.

وبعد وفاتها قتل الرومان الطفل قيصرون (بطليموس الخامس عشر) خشية مطالبته بالإمبراطورية الرومانية كوريث ليوليوس قيصر.

أعلن أوكتافيوس ضمه مصر لسلطان الشعب الرومانى ، وبذلك انتهى عصر الدولة اليونانية فى مصر (البطالمة).

كليو بترا = فخر الوطن

العصر الرومانى - البيزنطى
٣٠ ق.م. – ٦٤٠ م.

إستطاع الرومان الإستيلاء على حكم مصر بعد إنتصار أوكتافيوس على مارك أنطونيوس.
كانت عاصمة الإمبراطورية الرومانية هى روما ، وكانت الإسكندرية (عاصمة مصر) ثانى أكبر المدن الرومانية وأكبرمركز تجارى وصناعى وثقافى ، وكانت روما تعتمد على مصر فى تزويدها بالحبوب وفى أموال الضرائب الباهظة التى تحصلها من التجارة والصناعة.

كافأ القائد المنتصر (أوكتافيوس) اليهود على تأييدهم لدخول مصر بأن حافظ على كافة إمتيازاتهم التى كانت لهم فى العصر البطلمى ، وحرم سكان الإسكندرية (أبناء البلد) من تلك الحقوق لرفضهم الإحتلال الرومانى.

كان اليهود دائمى الثورة ؛ مما أضجر الرومان ودفعهم إلى تقليص الإمتيازات الممنوحة لهم.

ترك الرومان للمصريين حرية العقيدة ؛ فظل المصريون على وثنيتهم حتى ميلاد السيد المسيح ، وتسربت المسيحية إلى مصر فى القرن الأول الميلادى على يد القديس مرقس الرسول الذى نزل بالإسكندرية سنة ٦٢م خلال فترة حكم الامبراطور الرومانى نيرون ، وكان أول المؤمنين بالمسيحية صانع أحذية مصرى يدعى إنيانوس والذى حول منزله ليكون أول كنيسة فى أفريقيا وعرفت باسم كنيسة بوكاليا (الكاتدرائية المرقسية حاليا).

انتشرت الديانة المسيحية فى أرجاء مصر خلال القرن الثانى الميلادى مما أثار مخاوف الرومان الوثنيين فصبوا العذاب على المصريين الذين اعتنقوا المسيحية ، وبلغ التعذيب مداه خلال فترة حكم الامبراطور دقالديانوس (٢٨٤ – ٣٠٥م) الذى حاول فرض وضعه

موضع الالوهية ؛ فقاومه المصريون المسيحيون الذين قدموا عددا كبيرا من الشهداء (عصر الشهداء).

أعتنق الإمبراطور الرومانى (قسطنطين) المسيحية سنة ٣١٢م (بعد ميلاد السيد المسيح) ، وبدأ إنتشار الديانة المسيحية فى أرجاء الإمبراطورية ، وأصبحت الديانة الرسمية.

بدأ الكاهن المصرى آريوس (ولد فى أسيوط من أصول ليبية أو بربرية – رسم قسيسا بالإسكندرية) فى نشر تعاليمه ومبادئه عن المسيحية ودافع عن عقيدة التوحيد ، ومن بين مبادئه أن المسيح مخلوق وليس إله ولكنه مقدس ، إلا أن هذا الرأى اعتبرته كنيسة الاسكندرية بدعة (هرطقة) فكون أثناسيوس كبير الشمامسة تحالفا من الأساقفة شكلوا أغلبية أصدرت بموافقة الإمبراطور قسطنطين قرارا باللعنة والحرمان على آريوس وتابعيه ومؤيديه ، ثم أصدر الإمبراطور قسطنطين قرارا بنفيه وحرق كتبه.

أختير الأنبا المصرى القديس أثناسيوس الأول ليصبح البطريرك رقم ٢٠ لكنيسة الإسكندرية ، ولقب بحامى الإيمان نظرا لدفاعه وحفاظه على الإيمان الارثوذكسى ، عزل ونفى عدة مرات (حوالى خمس مرات) لرفضه عودة الكاهن آريوس إلى حظيرة الإيمان بعد إدعائه التوبة.

أنشأ الإمبراطور قسطنطين سنة ٣٣٠ م مدينة القسطنطينية أو بيزنطة (إستانبول حاليا) وجعلها عاصمة للإمبراطورية ، ونقل إليها الكثير من المسلات الفرعونية ، وبدأ منذ ذلك الحين العهد البيزنطى.

تولى الإمبراطور يوليانوس العرش سنة ٣٦١م وأعلن إرتداده عن المسيحية ، وأصدر قرارات أهمها منع إعانات الدولة إلى الكنيسة ، وإلغاء إعفاء رجال الدين من الضرائب ، وحرمان المسيحيين من

الوظائف الحكومية ، وبعد سنتين قتل الإمبراطور بيد أحد فرسانه المسيحيين.

تعاقب الحكام حتى تولى الإمبراطور ثيو دو سيوس الأول عرش الإمبراطورية الرومانية سنة ٣٧٩م ، وكان ملتزما بالعقيدة الأرثوذكسية ، وأصدر أمرا بإلزام كل رعايا الإمبراطورية بإعتناق الديانة المسيحية.

أصدر ثيو دو سيوس الأول أمرا بإحراق مكتبة الإسكندرية باعتبارها تحوى أفكارا وفلسفات وثنية تخالف العقيدة المسيحية ، كما قام بنقل مسلة تحوت مس الثالث من معبد الكرنك إلى القسطنطينية.

بدأ الصراع منذ حوالى سنة ٤٥٠م بين الكنائس الرسولية (كنيسة الإسكندرية ، كنيسة القسطنطينية) ، وانفصلت الكنائس الأرثوذكسية (الكنائس الشرقية – ويؤمنون بطبيعة المسيح ومشيئته الواحدة) عن الكاثوليكية (الكنائس الغربية – ويؤمنون بوجود طبيعتين ومشيئتين للمسيح وهما الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية).

فى سنة ٥٣٦م حاول الإمبراطور جوستينيان توحيد العقيدة الدينية المسيحية فى أرجاء الإمبراطورية ، إلا أنه حدث صدام هائل بين جنود الأروام المحتلين والمسيحيين المصريين (الأقباط) ، والذين قتل عدد كبير منهم داخل الكنائس.

سقطت مصر فى يد الفرس مرة أخرى سنة ٦٢٢م ، إلا أن هرقل الإمبراطور البيزنطى إستطاع هزيمة القوات الفارسية وإخراجهم سنة ٦٢٣م.

حاول هرقل توحيد الديانة المسيحية فى أرجاء الإمبراطورية الرومانية ، وأرسل سنة ٦٣١م القائد (قيرس) إلى مصر لفرض وجهة نظره ؛ مما أضطر البابا بنيامين البطريرك ٣٨ إلى الهرب.

وقام قيرس بإضطهاد المسيحيين المصريين (الأقباط) لإجبارهم على قبول مقررات مجمع خلقدونية خلافا لعقيدتهم الأرثوذكية ، ومن ذلك تعذيب أخ للبابا بنيامين يدعى مينا حتى الموت.

كان الرومان يعاملون الأقباط المسيحيين معاملة سيئة ، ويجبرون اليهود على التعميد – الدخول في المسيحية – تطبيقا لتعليمات هرقل (يقال أن هرقل رأى حلما أن أمة مختونة ستغلبه وتملك الأرض ؛ فظن أنهم اليهود لذلك أمر بإجبارهم على التعميد).

عصر الخلفاء الراشدين

٦٤٠ – ٦٥٨ م

- عمرو بن العاص ٦٤٠ – ٦٤٦ م.

كان عمرو بن العاص من المسلمين الأوائل – ذهب إلى المدينة المنورة وأسلم فى السنة الثامنة من الهجرة مع خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة قبل فتح مكة بنحو ستة أشهر.
قام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (الخليفة الثانى) بتكليف عمرو بن العاص بغزو مصر لتحريرها من الروم وولاه عليها ، وقد إستعان عمرو بن العاص ببعض اليهود المصريين الفارين من إضطهاد جنود هرقل.

لم يبد المصريون مقاومة تذكر حيث كانوا يعانون من سوء معاملة الرومان وكثرة الضرائب التى يفرضونها ، ولم يهتم المصريون بأى من الفريقين ولم يحاولوا فرض إرادتهم وكأن الأرض التى يحاربون عليها ومن أجلها لاتخصهم ، وطبقا لمقولة نسبت للأستاذ / محمد حسين هيكل *(لا شك ان القبط لم يعاونوا الروم فى قتال العرب إلا بالقدر الذى يضطرهم اليه خضوعهم كارهين لسلطان القيصر وعماله ، ولكن لا شك فى أنهم لم يعاونوا العرب إلا أن تكون معاونات فردية - اما فيما وراء ذلك - فقد وقف شعب مصر من الفريقين المتحاربين موقف المتفرج شديد التطلع).*

أضطر المقوقس – عظيم مصر فى ذلك الحين - إلى الموافقة على تسليم مصر إلى العرب ودفع الجزية مقابل حماية المسلمين لهم ومنحهم حرية العقيدة ، وبدأ منذ ذلك الحين ولاية مصر للحكم الإسلامى .

قام عمـرو بـن العـاص بفـتح الإسـكندرية وكـان يرغـب فـى جعلها عاصمة لمصر ؛ إلا أن عمر بن الخطاب أمـره أن ينـزل منزلا لايحول بينه وبين المسلمين نهر أو بحر ؛ لـذلك إختـار منطقة لفسطاطه ونزل بها ؛ فسميت المنطقة بالفسطاط (حى مصر القديمة بمدينة القاهرة).

بنى عمـرو بـن العـاص بالفـسطاط مـسجدا لإقامـة شـعائر الجمعة ، وكان يعرف بجامع الفـتح والمـسجد العتيـق وتـاج الجوامع وهو أول مسجد بمصر وأفريقيا.

توالى الولاة فى عهد الخلفاء الراشدين على النحو التالى:

- عبد الله بن سعد بن أبى سرح ٦٤٦ – ٦٥٦ م.

ولى مصر من قبل عثمان بن عفان - الخليفة الثالث - على خراجها (الجزية) ، وهو أخ لعثمـان بـن عفـان مـن الرضـاع ؛ مما أوغر صدر عمرو بن العاص والى مصر وحدثت مـشادات بينهما ، فقام عثمان بن عفان بعزل عمرو بن العـاص وأمـره بالعودة إلى المدينة المنورة.
قام عبد الله بن سعد بعد توليه مـصر بغـزو أفريقيـا مـرتين ، كما انتصر فى معركـة ذات الـصوارى علـى قـسطنطين بـن هرقل قرب مدينة الإسكندرية.

- محمد بن أبى حذيفـــة
٦٥٦ – ٦٥٧ م.
- قيس بن سعد بن عبادة
أغسطس - ديسمبر٦٥٧ م.
- مالـــك بن الحـــــارث
ولى فى ديسمبر٦٥٧م وتوفى قبل وصوله مصر
- محمد بن أبى بكر الصديق
فبراير – يوليو ٦٥٨ م.

العصر الأمـــوى
٦٥٩ – ٧٥٠ م

كان معاوية بن أبي سفيان بن حرب (أسلم يوم فتح مكة مع أبيه) واليا على الشام من قبل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (الخليفة الثانى) ، وظل واليا عليها خلال ولاية عثمان بن عفان (الخليفة الثالث) ، وبعد مقتلهما وتولى على بن أبى طالب (الخليفة الرابع) إمارة المؤمنين حرض معاوية أهل ولايته على تأييده والثورة ضد الخليفة ، وإنضم إليه عمرو بن العاص (والى مصر المعزول).

شعر على بن أبى طالب بتمرد معاوية فأمر بعزله ، إلا أن أهل الشام لم يقبلوا الوالى الجديد وطردوه ، وبايعوا معاوية بالخلافة.

تقاتل جيش على بن أبى طالب وجيش معاوية عند نهر الفرات ، أتفق على وقف القتال واللجوء إلى التحكيم ، وكان موسى بن نصير حكما من طرف على بن أبى طالب (الخليفة الرابع) ، وعمرو بن العاص حكما من طرف معاوية بن أبى سفيان ، وأنتهى التحكيم إلى ذهاب على بن أبى طالب إلى الكوفة وإستيلاء معاوية على مكة والمدينة واليمن.

بعد مقتل على بن أبى طالب بايع العرب الحسن بن على خليفة للمسلمين ، فسار إليه معاوية بجيش يفوقه عددا وعدة ، إلا أن جنود الحسن خانوه ؛ فتنازل عن الخلافة لمعاوية.
إتخذ معاوية بن أبى سفيان دمشق عاصمة للخلافة ، وإستخلف ابنه يزيد قبل وفاته ، وهو أول من أقام نظام وراثة الحكم فى الإسلام.

كان معاوية بن أبى سفيان قد وعد عمرو بن العاص بولاية مصر ، وأن يكون خراجها له نظير مناصرته ومشورته والخدمات التى قدمها له (تغلبه على موسى بن نصير فى التحكيم وخداعه بتحويل الأمر

من النظر فى أمر ولاية معاوية على الشام إلى النظر فى أمر خلافة معاوية على المسلمين).

قام عمرو بن العاص على رأس جيش بغزو مصر (للمرة الثانية) والاستيلاء عليها ، وقبض على والى مصر فى ذلك الوقت (محمد بن أبى بكر) وقتله ، وبذلك بدأت الدولة الأموية بمصر.

تميزت فترة حكم الأمويين بعدم الإستقرار لكثرة الثورات للإستقلال لعدة أسباب منها الإستبداد والتحيز للعرب ضد المسلمين من الأجناس الأخرى (الموالى) ، والصراع على الخلافة بين الأمويين ذاتهم ، وثورة الخوارج (أتباع عبد الله بن الزبير الذى بايعه العرب بمكة خليفة للمسلمين ، ولكنه قتل على يد الحجاج قائد جيش الخلافة الأموية).

تولى ولاية مصر ٢٥ واليا خلال العهد الأموى ، ظلت النظم الإدارية والمالية بمصر كما هى منذ العهد البيزنطى ، ولم يضف الولاة الأمويون جديدا على هذه النظم ، فيما عدا بدء إستخدام اللغة العربية بالدواوين الحكومية بدلا من اللغة القبطية إعتبارا من حوالى سنة ٧٠٥م.

العصر العباسـى
٧٥٠ – ٨٦٨ م

قام العباسيون بالتمرد على الحكم الأموى ، وبدأت الثورة بخراسـان وزحفت إلى العراق ودخلت الكوفة ، وأعلـن قيام الدولـة العباسـية ومبايعة أبو العباس عبد الله السفاح بالخلافـة (لقب بالـسفاح لأنـه دعا أمراء بنى أمية إلى قصره وأعطـاهم الأمـان ؛ ثـم قـام بـذبحهم ولم ينج سـوى عبد الرحمن الداخل الذى فـر إلـى المغـرب ثـم إلـى الأندلس).

إلتقى الخليفة الأموى مروان بن محمد بجيشه مع العباسـيين عنـد نهر الزاب الكبير (أحد روافد نهر دجلة) إلا أنه لقـى هزيمـة منكـرة ، وفر مروان بن محمد من أرض المعركة والعباسـيون يتعقبونـه حتـى دخل مصر ليستنجد بأهلهـا ، ولحقـه العباسـيون وقتلـوه فـى قريـة (زاويـة المـصلوب) التابعـة لبوصـير – الجيـزة سـنة ٧٥٠ م ، وبوفاتـه إنتهت الدولة الأموية.

منذ ذلك الحين بـدأت الدولـة العباسـية بمـصر ، وتـولى ولايـة مـصر خلال تلك الفترة ١١٨ والى (بدءا من صالح بن على بن عبد الله بـن العباس وحتى أزجورياكباك التركى).

لـم تـنعم مـصر بالإسـتقرار لكثـرة تغيـر الـولاة خـلال تلـك الفتـرة ، وإهتمامهم بجمع الجزية والخراج ؛ مما حرم المصريين مـن محاولـة الإهتمـام والنهـوض بـالنواحى الإقتـصادية أو الإجتماعيـة للـشعب المصرى.

كـان الإهتمـام موجهـا إلـى بـلاد العـراق حيـث عاصـمة الخلافـة ، فإزدهرت العلوم الدينية فى هذا العصر (وجود أئمـة الفقـه الأربعـة ، ظهور مدرستى الفقه : مدرسة أهل الرأى بالعراق ، ومدرسة أهـل الحديث بالمدينة المنورة) ، كما أنشئت دار الحكمة ببغـداد كمجمـع علمى ومكتبة جامعة ومرصد وهيئة للترجمة.

العصر الطولونى
٨٦٨ –٩٠٤م

كانت مصر تحت ولاية القائد التركي "أزجور باكباك" زوج أم أحمد بن طولون ، وذلك من قبل الخليفة العباسى ، فأناب عنه ابن زوجته "أحمد" في حكم مصر ، وأمده بجيش كبير دخل مصر في سبتمبر ٨٦٨م.

نجح أحمد بن طولون في أن يستصدر من الخليفة "المعتمد على الله" قرارًا بأن يضيف إليه أعمال الخراج ؛ فجمع بهذا بين السلطتين المالية والسياسية ، وقويت شوكته ، وعظم سلطانه ، وكان أول عمل قام به هو إلغاء المكوس والضرائب التي أثقل بها عامل الخراج السابق كاهل الشعب المصرى.

تولى أبناء أحمد بن طولـــون ولاية مصر حتى سنة ٩٠٤ م.
يعتبر العصر الطولونى جزءا من الولاية العباسية على مصر.

مظاهر الحضارة فى العصر الطولونى:

- إنشاء عاصمة جديدة للدولة شمالي "الفسطاط" عُرفت بـ"القطائع" ، وقد بنيت على غرار مدينة "سامراء" عاصمة الخلافة العباسية
- إنشاء "بيمارستان" لمعالجة المرضى مجانًا دون تمييز بينهم
- العناية بالزراعة ؛ فعُني بتطهير نهر النيل ، وشق الترع ، وإقامة الجسور، وتم تشجيع الفلاحين على امتلاك الأراضي حتى تزداد عنايتهم بها ، وخصص لذلك ديوان الأملاك ، كما أصلح مقياس النيل في الروضة لمتابعة الزيادة والنقصان في منسوب مياه نهر النيل، وأمدّ الفلاحين بما يحتاجونه من البذور والآلات الزراعية.

- إزدهرت الصناعة في العهد الطولوني ، وخاصة صناعة النسيج ، وتقدمت صناعة الورق والصابون والسكر وصناعة الأسلحة
- نشطت التجارة في مصر والشام ؛ نظرًا لموقعهما المتميز في طرق التجارة العالمية.
- بناء جيش قوي بلغ - في بعض الروايات- مائة ألف جندي ، وإنشاء أسطولٍ بحريٍّ لحماية شواطئ الدولة ، وإقامة الحصون المنيعة في يافا والإسكندرية وعكا.

العصر الإخشيدى

٩٣٣ – ٩٦٩ م

تولي محمد بن طغج سنة ٩٣٠م ولاية الشام من قبل العباسيين ، ثم أصبح سنة ٩٣٣م واليا على مصر.

تلقب سنة ٩٣٨ بـ"الإخشيد" (من ألقاب السلاطين).

بعد وفاة الإخشيد أصبح الأمر بين يدي قائده الأسود كافور (٩٤٦ – ٩٦٨م) ، تولى الأخير إدارة الحكم بينما كان ابني الإخشيد دون السن التي تؤهلهما لهذه الأمور.

أصبح القائد كافور سنة ٩٦٦م واليا من قبل العباسيين على مصر ، قام كافور بتوسيع أملاكه لتشمل فلسطين والشام.

لم تكن فترة ولاية الإخشيدين كافية للتأثير على مظاهر الحياة بمصر (حوالى ستة وثلاثون عاما) ، ولم يهتم الولاة خلال هذه الفترة سوى بجمع الخراج من المصريين.

يعتبر العصر الإخشيدى جزءا من الولاية العباسية على مصر. كان آخر الأمراء أبو الفوارس (من أحفاد الإخشيد) ، وتم إجلائه عن الفسطاط من قبل الفاطميين سنة ٩٦٩م.

العصر الفاطمــى
٩٦٩ – ١١٧١م

فى أواخر العصر الإخشيدى إمتنع المصريون عن الخراج ، وكتب الأعيان إلى المعز لدين الله الخليفة الفاطمى - وكان ببلاد المغرب - يطلبون منه الحضور إلى مصر.

أعد المعز لدين الله جيشا جرارا بقيادة جوهر الصقلى ، واستطاع الجيش الاستيلاء على مدينة الإسكندرية دون مقاومة وتوغل حتى الفيوم ، وحاصر الفسطاط وإستطاع الاستيلاء عليها بعد مقاومة لاتذكر من فلول الإخشيدين.

قام القائد جوهر الصقلى ببناء مدينة أسماها المنصورية فى بداية الأمر ثم سميت القاهرة ، وأصبحت عاصمة للخلافة الفاطمية ، وأقام حولها سورا من الطوب اللبن ، وقام جوهر الصقلى ببناء الجامع الأزهر.

تم خلال هذا العصر تنظيم الدوايين الحكومية ، ووضع على رأس كل إدارة أثنين أحدهما مصرى والآخر مغربى للرقابة.

إزدهرت التجارة ونما إقتصاد البلاد و نشطت حركة العمران.

ظهرت إضطرابات كثيرة فى أنحاء الدولة الفاطمية ، وبدأ الصليبيون فى التجمع وعقدوا اجتماعا سنة ١٠٩٥م فى كليرمونت بفرنسا لبدء حملاتهم الحربية التى إتخذت الصليب شعارا بإدعاء إستعادة أورشليم وحماية المسيحيين الذين يرغبون فى الذهاب إلى بيت المقدس ، ولكنها تخفى الرغبة فى السلطة والسيطرة على الشرق الأوسط مركز التجارة العالمية ومصدر الخيرات والثروات المختلفة ، كما أنها كانت الفرصة للفقراء لتحسين أوضاعهم المعيشية وتملك أراض وثروات فى بلاد أخرى دون إثارة ثورات فى بلادهم الأصلية ضد الحكام والنبلاء.

وبالفعل إستطاعت تلك الحملات الاستيلاء على أجزاء كبيرة من الشام ، وتقلصت حدود الدولة الفاطمية إلى مصر فقط.

آخر الخلفاء الفاطميين وقع تحت سيطرة القادة العسكريين الأيوبيين حتى قام صلاح الدين الأيوبي (الذي تولى الوزارة منذ ١١٦٩م) بالقضاء على الدولة الفاطمية نهائيا سنة ١١٧١م.

العصر الأيوبـــى

١١٧١ – ١٢٥٠ م

قام الخليفة الفاطمى الملك العادل نور الدين بن زنكي بتوجيه الأمير أسد الدين شيركوه بن شاذي (وهو كردى من أذربيجان) في جماعة من عسكره ومعه ابن أخيه صلاح الدين إلى الديار المصرية وإستولوا عليها ، وقتلوا الوزير ضرغام ، وأعادوا الوزير الفاطمى (شاور).

قام الوزير (شاور) بمكاتبة الإفرنج دون إستشارة الخليفة ، مما أثار حفيظته وخاف على مصر أن يملكوها ويملكوا بطريقها جميع البلاد ، فتجهز أسد الدين وكان وصوله إلى البلاد مقارنا لوصول الإفرنج إليها ، وإتفق شاور والمصريون والإفرنج على أسد الدين وجرت حروب كثيرة.

توجه صلاح الدين إلى الإسكندرية فأحتمى بها وحاصره الوزير شاور، ثم عاد أسد الدين من جهة الصعيد إلى بلبيس وتم الصلح بينه وبين المصريين.

خرج الإفرنج يريدون مصر ناكثين العهود مع المصريين وأسد الدين طمعا في البلاد ، وتحقق أسد الدين أنه لا سبيل إلى الإستيلاء على البلاد مع بقاء شاور الوزير الخائن ، فقبض عليه وقتله ، وأصبح أسد الدين وزيرا وصلاح الدين يباشر الأمور لكفايته ودرايته وحسن رأيه وسياسته.

لما مات أسد الدين إستقرت الأمور بعده للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فبذل الأموال وملك الرجال ، إستعدادا للمواجهات مع الصليبيين .

إجتمع الإفرنج والروم جميعا وقصدوا الديار المصرية ؛ فقصدوا دمياط ومعهم آلات الحصار وما يحتاجون إليه من العدد ، ولما بلغ صلاح الدين ذلك إستعد لهم بتجهيز الرجال وجمع الآلات ، وشن عليهم الغارات من خارج والعسكر يقاتلهم من داخل ، وتم له النصر.

إستقرت الأمور لصلاح الدين ، ولم يزل وزيرا حتى مات العاضد آخر الخلفاء الفاطميين ، وبذلك انتهت الدولة الفاطمية وبدأت دولة بني أيوب ، ولقب صلاح الدين بالملك الناصر.

رأى صلاح الدين قوة عسكره وكثرة عدده ، فسير أخاه توران شاه إلى اليمن فقتل ملكها (عبد النبي بن مهدي) وأخذ البلاد منه.

وبلغ صلاح الدين أن إنسانا يقال له الكنز جمع بأسوان خلقا عظيما من السودان ، وزعم أنه يعيد الدولة المصرية ، وكان أهل مصر يؤثرون عودتهم فانضموا إلى الكنز ؛ فجهز صلاح الدين إليه جيشا كثيفا وجعل مقدمه أخاه الملك العادل وساروا إليهم فإلتقوا وهزموهم.

تجهز صلاح الدين من مصر في جيش كثيف وترك بها من يحفظها ، وقصد دمشق وتسلم قلعتها ونازل حمص وأخذ مدينتها ولم يشتغل بقلعتها ، وتوجه إلى حلب ونازلها.

خرج صلاح الدين يطلب الساحل حتى وافى الإفرنج على الرملة ، وكانت الهزيمة على المسلمين ، فطلبوا جهة الديار المصرية وضلوا في الطريق وتبددوا وأسر منهم الكثير.
أقام صلاح الدين بمصر حتى لم شعثه وشعث أصحابه من أثر الهزيمة ، ثم بلغه تخبط الشام فعزم على العود إليه ، ووصله رسول "قليج أرسلان" صاحب الروم يلتمس الصلح ، ويتضرر من الأرمن فعقد معه صلحا.

سار صلاح الدين بمن إجتمع له من العساكر الإسلامية ونزل على بحيرة طبرية ... والتقى بالعدو على سطح جبل طبرية الغربي منها ، إشتد القتال وأحاط المسلمون بالصليبيين من كل جانب ، فلم ينج منها أحد وإعتصمت طائفة منهم بتل يقال له تل حطين - وهي قرية عندها قبر النبي شعيب عليه السلام – فضايقهم المسلمون وأشعلوا حولهم النيران واشتد بهم العطش حتى إستسلموا.

ورحل صلاح الدين طالبا عكا وقاتل الصليبيين بها فأخذها وإستنقذ من كان بها من أسارى المسلمين ، وإستولى على ما فيها من الأموال والذخائر والبضائع ، وتفرقت العساكر في بلاد الساحل يأخذون الحصون والقلاع والأماكن المنيعة ؛ فأخذوا نابلس وحيفا وقيسارية وصفورية والناصرة وكان ذلك لخلوها من الرجال لأن القتل والأسر أفنى كثيرا منهم.

لما إستقرت قواعد عكا وقسمت أموالها سار صلاح الدين يطلب تبنين ، وهي قلعة منيعة ، فنصب عليها المناجيق وضيق بالزحف خناق من فيها ، فقاتلوا قتالا شديدا حتى إنتصر فتسلمها عنوة وأسر من بقي فيها بعد القتل ، ثم رحل عنها إلى صيدا فبيروت فعسقلان ، وإستولى على كل منها بعد قتال ثم غزة وبيت جبريل والنطرون.

بعد أن تسلم صلاح الدين عسقلان عقد العزم على تحرير القدس (أورشليم) - وكان الإفرنج قد استولوا عليها سنة ١٠٩٩م - ولم يزل بأيديهم ، حتى إستنقذه منهم صلاح الدين ، وأفرج عمن كان بالقدس من أسرى المسلمين وكانوا خلقا عظيما. ١

أتى صلاح الدين عكا ودخلها بغتة لتقوى قلوب من بها ، وإستدعى العساكر من كل ناحية فجاءته ، ثم تكاثر الإفرنج وإستفحل أمرهم وأحاطوا بعكا ومنعوا من يدخل إليها ويخرج ، ثم جرى بين الفريقين مناوشات وجاء الإمداد للإفرنج من داخل البحر وإستظهروا على الجيوش الإسلامية.

بعد هذا خرج الإفرنج من عكا قاصدين عسقلان ليأخذوها ، إلى أن وصلوا إلى أرسوف فكان قتال عظيم ونال المسلمون منه وهن شديد.

ثم تم الصلح بين الإفرنج والمسلمين ، ونادى المنادي بإنتظام الصلح ، وأن البلاد الإسلامية والنصرانية واحدة في الأمن والمسالمة ، فمن شاء من كل طائفة يتردد إلى بلاد الطائفة الأخرى من غير خوف ولا محذور.

توفى الناصر صلاح الدين الأيوبى سنة ١١٩٣م ، وخلفه اثنان من أبنائه هما العزيز بن صلاح الدين (حكم لمدة خمس سنوات) ثم المنصور بن العزيز (حكم لمدة سنة واحدة).

إنتقل الحكم بعد ذلك إلى السلطان العادل أخو صلاح الدين (حكم حوالى ١٨ سنة) ، وحدث خلاف بين أبناء البيت الأيوبى فى مصر والشام وتحاربوا فيما بينهم ، وإزداد نفوذ المماليك.
كان السلطان الصالح بن الكامل نجم الدين أيوب – آخر ملوك الدولة الأيوبية – يحارب الصليبيين ، وتوفى والمعارك دائرة ، فقامت زوجته شجر الدر بإخفاء خبر موته حتى إنتصر المسلمون على الصليبيين فى المنصورة وفارسكور.

وهكذا كان العصر الأيوبى فترة حروب متواصلة إنتهى بعضها ضد رغبة الشعب المصرى ، وإنتهى بعضها الآخر بحماية مصر من إحتلال لصالح إحتلال آخر.

المماليك البحرية
١٢٥٠ – ١٣٨٢م

بعد وفاة الصالح أيوب خلفه ابنه توران شاه في حكم مصر ، وأبعد الرجال الأكفاء ، وهدد زوجة أبيه شجر الدر ، وطالب بثروة أبيه ، ولم يحسن معاملة المماليك البحرية الصالحية ، الذين كان لهم الفضل الأكبر في تحقيق النصر ، وحسدهم على مكانتهم التي بلغوها بفضل شجاعتهم وقوة بأسهم ، وخشي من نفوذهم فأعرض عنهم ، وأوجس منهم خيفة وأضمر لهم السوء.
لم يكن أمام المماليك سوى التخلص منه قبل أن يتخلص هو منهم ، فنجح الظاهر بيبرس في قتله في فارسكور قبل أن يتم العام فى الحكم ، وبمقتله إنتهت الدولة الأيوبية في مصر.

وجد المماليك أنفسهم أمام وضع جديد لم يعهدوه من قبل ، فإتفقت كلمتهم على اختيار أرملة أستاذهم "شجر الدر" سلطانة للبلاد ، في سابقة لم تحدث في التاريخ الإسلامي إلا نادرا ، وبايعوها بالسلطنة في (٢ صفر ٦٤٨هـ = ٥ مايو ١٢٥٠م).

لم تكن شجر الدر مصرية ، بل كانت تركية أو جركسية أو رومانية على إختلاف فى الروايات ، لم تكن الظروف مواتية لأن تستمر شجر الدر في الحكم ، على الرغم مما أبدته من مهارة وحزم في إدارة شئون الدولة ، فلقيت معارضة شديدة في داخل البلاد وخارجها ، وثارت ثائرة الأيوبيين في الشام لمقتل توران شاه وجلوس شجر الدر على سدة الحكم ، ورفضت الخلافة العباسية في بغداد أن تقر صنيع المماليك ، فكتب الخليفة إليهم : "إن كانت الرجال قد عدمت عندكم فأعلمونا حتى نسير إليكم رجلا".

لم تجد شجر الدر بدًا من أن تتنازل عن الحكم للأمير "عز الدين أيبك" أتابك العسكر الذي تزوجته وتلقب بالملك المعز ، وكانت المدة التي قضتها شجر الدر على عرش البلاد ٨٠ يوما.

تولّى الملك المعز عرش البلاد ، وكان عليه مواجهة خطر الأيوبيين في الشام وتهديداتهم ، وكانوا قد إجتمعوا تحت زعامة "الناصر يوسف" صاحب حلب ودمشق لإسترداد مصر من المماليك ، وزحفوا على مصر فإلتقى معهم أيبك بقواته في معركة بالقرب من الصالحية في ١٢٥١م ، وانتهت بإنتصاره وفرار الناصر يوسف ورجاله إلى الشام.

دفع هذا النصر الملك المعز إلى الزحف إلى الشام للقضاء على المعارضة الأيوبية ، غير أن الخليفة المعتصم العباسي تدخل ووضع حدًّا للنزاع بين الطرفين ؛ فتم الصلح بينهما سنة ١٢٥٣م على أن تكون مصر والجزء الجنوبي من فلسطين بما في ذلك غزة وبيت المقدس وبلاد الساحل للمعز أيبك ، وتظل البلاد الشامية في أيدى الأيوبيين ، وهكذا إنتهت العقبة الأولى في تأسيس الدولة المملوكية الناشئة بإيقاف النزاع والصراع مع ملوك البيت الأيوبي.

لم يكد السلطان أيبك يتخلص من هذه العقبة حتى واجهته عدة مشكلات داخلية ، بدأت بقيام الأعراب بثورة شعبية في الصعيد والشرقية تحت زعامة "حصن الدين ثعلب" ؛ فإضطر السلطان إلى إرسال حملة عسكرية بقيادة "فارس الدين أقطاي" لقمع هذه الثورة في مهدها ؛ فنجح في القضاء عليها قبل أن يستفحل خطرها.

أما العقبة الثانية التي واجهت أيبك في الداخل فهي إزدياد نفوذ المماليك البحرية بزعامة "فارس الدين أقطاي"، خاصة بعد نجاحهم في تحقيق انتصارات داخلية وخارجية ، فعزم على التخلص منه ؛ فاستدعاه إلى القلعة بحجة إستشارته في أمر من أمور الدولة ، وهناك تخلص منه بالقتل.

أسلمت البلاد قيادها للمعز ، وتخلص من القوى المناوئة له ، وكان من المنتظر أن تنعم مصر ببعض الهدوء بعد الفوضى والقتال ، وينعم هو بزعامة بلد له شأن ، إلا أنه دخل في صراع مع زوجته (شجر

الدر) زاد من ضراوته عزمه على الزواج من إحدى بنات البيت الأيوبي.

بدأ الملك المعز يفكر في الخلاص من زوجته شجر الدر ، غير أنها كانت أسبق منه ، فدبرت مؤامرة لقتله (١٢٥٧م) ، ثم لم تلبث هي الأخرى أن قتلت بعده بأيام قليلة.

وبعد مقتله تعصب المماليك المعزية لابن سيدهم المدعو "نور الدين علي" بن أيبك ، وكان في الخامسة عشرة من عمره ، وأقاموه سلطانا على البلاد.

لمّا تعرض الشرق الإسلامي لخطر المغول الذي اجتاح الشام وأصبحت مصر على مقربة من هذا الخطر ، قام "سيف الدين قطز" نائب السلطنة بعزل السلطان الصغير (١٢٥٩م) ، وتولى الحكم لمواجهة الخطر المغولى الداهم ، وخرج إلى ملاقاة المغول في "عين جالوت" وحقق إنتصارا تاريخيا في سبتمبر١٢٦٠م ، وطرد المغول من المنطقة ، وضم الشام إلى سلطان المماليك الذين أصبحوا سادة الموقف ومن بيدهم مقاليد الأمور في مصر والشام.

تولى الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري سنة ١٢٦٠م الحكم بعد مقتل سيف الدين قطز بتدبير منه ، ويعتبر الظاهر بيبرس أبرز ملوك الدولة المملوكية ، بقضائه على المؤامرات التي كانت تحاك ضد حكمه ، ووسع ملكه بالفتوحات ، وقد دام حكمه حوالي سبعة عشر عاماً.

توالى الملوك والسلاطين على حكم مصر من المماليك حتى بلغ عددهم ٣٦ خلال هذا العهد ، الذى لم يشهد سوى دفاعهم عن ملكهم فى مصر فدرأوا عنها خطر إحتلال الآخرين.

المماليك البرجية (الجراكسة)
١٣٨٢ – ١٥١٧م

إستمر حال الملوك والسلاطين من المماليك بالإستعانة بمماليك من بلاد أخرى ، غير أنهم إتجهوا إلى بلاد الكرج (جورجيا) بدلا من الترك والتتار ، وكانوا يفرضون على هؤلاء المماليك الإقامة بأبراج القلعة حتى لايختلطوا بغيرهم من المماليك والأهالى ؛ ولذلك سموا بالمماليك البرجية.

قويت شوكة المماليك البرجية ، حتى أعلن سيف الدين برقوق نفسه سلطانا على البلاد سنة ١٣٨٢م.
تعاقب على عرش السلطنة ثلاثة وعشرون سلطانا خلال هذا العهد (حوالى ١٣٥ سنة).

تميزت هذه الفترة بإزدهارحركة التجارة ، وبناء العديد من المدارس والمساجد والأسبلة والبيمارستانات (المستشفيات).

تنازع أمراء المماليك على الحكم ، وواجهت مصر عقبتين فى أواخر هذا العصر ، العقبة الأولى إكتشاف (فاسكو دى جاما) طريق رأس الرجاء الصالح مما أدى إلى تحول طريق التجارة العالمية عن مصر وبالتالى قلت مواردها ، والعقبة الثانية إشتداد نفوذ العثمانيين.

آخر حكام المماليك البرجية كان العادل طومان باى الذى انتهى حكمه سنة ١٥١٧ م بالشنق على باب زويلة بأمر من سليم الأول (القائد العثمانى).

العصر العثمـــانى

١٥١٧ – ١٧٢٨م

ينحدر العثمانيون إلى قبائل تركمانية منغولية ، أقاموا إمارة حربية شمال الأناضول وإستطاعوا إزاحة السلاجقة والإستيلاء على الأناضول فى عهد عثمان الأول – الذى حملت الأسرة اسمه – إستمر العثمانيون فى توسعاتهم حتى استطاعوا الإستيلاء على القسطنطينية فى عهد محمد الفاتح ، وإنهاء التواجد البيزنطى المسيحى فى المنطقة.

تمكن سليم الأول من فتح العراق (١٥١٤م) وفلسطين والشام (١٥١٦م) ومصر (١٥١٧م) ثم جزيرة العرب والحجاز وليبيا وتونس والجزائر ، ووصل نفوذ العثمانيين إلى وسط آسيا وجنوب شرق أوروبا.

صارت مصر منذ ذلك الوقت ولاية عثمانية ، وتعاقب على حكم مصر منذ ذلك الحين حتى مجيء الحملة الفرنسية عدد من الولاة الذين ترسلهم الدولة العثمانية لإدارة شئون البلاد في مصر ، وإستمد هؤلاء الأمراء هيبتهم من هيبة الدولة وقوتها ، وأمسكوا بزمام الأمور في قوة وحزم ، وإن مارس بعضهم كثيرا من التجاوزات في إدارته للحكم ، بخلاف تنازعهم على السيطرة.

المماليك البابات

١٧٢٨ – ١٧٩٨م

لم يؤد بسط الدولة العثمانية نفوذها على مصر إلى القضاء على نفوذ المماليك ، على الرغم من إنقضاء دولتهم ، بل على النقيض من ذلك فقد شاركوا الوالي العثماني في إدارة البلاد ، لكن نفوذهم ظل شاحبا ما دامت الدولة قوية مرهوبة الجانب مسموعة الكلمة ، حتى إذا ما بدأ الضعف يتسلل إليها وتنشغل بحروبها مع

أعدائها بدأ نفوذ المماليك يتصاعد تدريجيا في مصر، وبدأوا يتلاعبون بالوالي العثماني كيفما شاءوا.

وقد ساعد هذا الضعف الذي ساد الدولة في القرن (الثاني عشر الهجري = الثامن عشر الميلادي)، على ظهور عدد من زعماء المماليك الذين كانوا يتولون منصب شيخ البلد (أي حاكم) القاهرة وكان هذا المنصب أعلى المناصب التي يتقلدها البكوات المماليك ، وكان لا يعتليه إلا أكثرهم عصبية وأشدهم بأسا ، وأوفرهم جندا.

قائمة الولاة المماليك البابات:

- على بـــــك الكبير (١٧٢٨م –١٧٧٣م)
- محمد بك أبو الدهب (١٧٧٣م- ١٧٧٥م)
- إمارة ثلاثية تضم إبراهيم بك (الحاكم المدنى) ، مراد بك (الحاكم العسكرى) ، يوسف بك (أمير الحج) (١٧٧٥م- ١٧٧٧م)
- إسماعيل بك (شيخ البلد) (١٧٧٧م- ١٧٧٨م)
- مراد بك (أمير الحج) بالمشاركة فى الحكم مع إسماعيل بك (شيخ البلد) (١٧٧٨م- ١٧٨٦م)
- إمارة ثلاثية تضم إسماعيل بك (شيخ البلد) و علي بك الدفتردار و حسن بك (أمير الحج) (١٧٨٦م- ١٧٩٠م)
- مراد بك (أمير الحج) بالمشاركة فى الحكم مع إبراهيم بك (شيخ البلد) (١٧٩٠م- ١٧٩٨م)

كانت فرنسا تطمح فى إحتلال مصر ، ولذلك قادت الحملات الصليبية (التى إتخذت الصليب شعارا والدين مبررا للحرب ، وكان السبب الرئيسى لهذه الحملات هو إلهاء الفقراء عن الثورة ضد الإقطاعيين & البحث عن مصادر ثروات أخرى خاصة فى ظل إقتصار الميراث على الابن الأكبر & بسط النفوذ والتوسع الإستيطانى) ...

فكانت الحملة الصليبية الخامسة بقيادة (جان دى برس) ، والحملة الصليبية السابعة بقيادة (لويس التاسع) ، ومنيتا بهزيمة مدوية وخرجتا من مصر ، وذلك فى العهد الأيوبى.

لما ضعفت الدولة العثمانية ، أرسلت فرنسا جيشها بقيادة نابليون بونابرت – قائد القوات الفرنسية فى ذلك الحين - بهدف عقاب المماليك الذين أساءوا معاملة الفرنسيين (المبرر الظاهر) والبحث عن طريق تجارى بديل بعد استيلاء الإنجليز على رأس الرجاء الصالح وطرد الإنجليز من ممتلكاتهم فى الشرق (المبرر الحقيقى).

وصلت الحملة الفرنسية إلى مدينة الإسكندرية يوم ٢ يوليو ١٧٩٨م ، ونجحت فى الإستيلاء عليها بعد ساعات قليلة من المقاومة بقيادة (محمد كريم) حاكم المدينة ، وأذاع الفرنسيون أنها حضروا إلى مصر لتخليصها من طغيان المماليك.

أثارت أنباء زحف الفرنسيين الخوف في نفوس المصريين ؛ الذين حملوا متاعهم وفروا إلى الصحراء إلا أن البدو الأعراب سرقوهم ونهبوهم ، فعاد منهم من عاد ومات من مات.

زحفت الحملة إلى مدينة القاهرة بريا ونهريا (عن طريق فرع رشيد) ، ساعدهم فى ذلك بعض النصارى البلدية (المسيحيين أهل البلاد) حسب ما أورده الجبرتى.

حاول مراد بك التصدى لأسطول الحملة الفرنسية عند شبراخيت إلا أنه لقى هزيمة ، فاضطر إلى التقهقر صوب القاهرة ، وقابلهم مرة أخرى عند إمبابة (معركة الأهرام) وهزم مرة أخرى ؛ ففر إلى الصعيد ومن معه من المماليك ، وأصبحت القاهرة بدون حامية.

طلب العلماء وشيوخ الأزهر الأمان من الفرنسيين ، الذين أكدوا أن غزوهم بسبب طرد المماليك ورتبوا ديوانا لتسيير الأمور مكون من عشرة مشايخ وثلاثة أوربيين.

بالغ الفرنسيون فى فرض الضرائب ، ودخلوا الجامع الأزهر بالخيول ودمروا الكتب والمخطوطات الموجودة بخزائنه ، وقام الفرنسيون بالعمل على إحداث فتنة بين المسلمين والمسيحيين لتمكينهم من إحكام السيطرة على البلاد ، مما أدى إلى حدوث فوضى أو ثورة عمت أقاليم مصر .. وهناك من أدعى أنها ثورة ضد الفرنسيين بإيعاز من المماليك والأزهر ، وهناك من يؤكد أنها فوضى مقصودة وفرصة للنهب والسلب.

جين بابتسته كليبر ٢٣ أغسطس ١٧٩٩ - ١٤ يونيو ١٨٠٠م

كان قائدا ومساعدا لنابليون بونابرت الذى رحل عن مصر ليكمل غزواته وليصبح إمبراطورا لفرنسا ، تولى كليبر قيادة مصر وحاول قمع الثورة وإعادة الهدوء إلى البلاد ، وكان من ذلك أنه سحق ثورة القاهرة الثانية بقصف حى بولاق بالمدافع ؛ مما أدى إلى زيادة النفور من الفرنسيين وتصاعد الكراهية ضدهم.

قتل كليبر على يد سليمان الحلبى - وهو طالب سورى أزهرى – حيث طعنه بخنجر فى حديقة قصره.

جان جاك مينو ١٤ يونيو ١٨٠٠ - ٢٦ يونيو ١٨٠١م

تولي قيادة مصر بعد مقتل كليبر – أدعى الإسلام وتزوج من زبيدة ابنة أحد الأعيان برشيد ،.ويظن البعض أن ذلك بهدف التقرب إلى المصريين وأنجب طفلا أسماه سليمان.

واجهت الحملة الفرنسية صعوبات كثيرة كان أهمها انتشار الطاعون بالبلاد ، ومقاومة الأهالى للإحتلال الفرنسى ، هذا بخلاف تحالف الإنجليز والأتراك لطرد الفرنسيين ، وكانت الهزيمة على يد الأسطول الإنجليزى بقيادة نلسون ، والذى هزم الحملة الفرنسية فى معركة أبى قير البحرية وأغرق أسطولها بالكامل ؛ مما أضطر مينو إلى توقيع إتفاقية تسليم والخروج على متن السفن الإنجليزية.

أهم نتائج الحملة الفرنسية:

- وجود كثير من العلماء والباحثين والمترجمين الذين أثروا الحركة الثقافية ، والذين تركوا كتاب (وصف مصر) المكون من ٢٠ مجلد - الذى يعد موسوعة للأراضى والآثار المصرية ووصف للحياة اليومية بجميع جوانبها
- فك رموز اللغة المصرية القديمة على يد شامبليون (إكتشاف حجر رشيد)
- لفت أنظار العالم إلى موقع مصر الاستراتيجى
- تقدم الأنظمة الإدارية (سجلات المواليد والوفيات) والمحاكم
- تعرف الشعب المصرى على الحضارات الغربية

عصر أسرة محمد على

١٨٠٥م – ١٩٥٢م

محمد على باشا (١٨٠٥م –١٨٤٨م)

حاول العثمانيون القضاء على الحملة الفرنسية وإستعادة حكم مصر ؛ فقاموا بتعبئة الجيوش وبدأوا فى محاربة الفرنسيين اعتبارا من سنة ١٨٠١م ، وكان ضمن جيوش العثمانيين (محمد على) الذى كان معاونا لرئيس كتيبة قولة (منبت رأسه - وهى مدينة ساحلية جنوب مقدونيا - اليونان) ، وإستطاع إثبات كفاءته العسكرية فتدرج فى الترقية إلى أن خرج الفرنسيون من مصر ، وأصبح محمد على من الرجال المقربين للوالى الجديد (خسرو باشا).

بعد خروج الحملة الفرنسية تنازعت السلطة فى مصر ثلاثة قوى هى الإنجليز والأتراك والمماليك الذين اتحدوا لفترة قصيرة حتى يتمكنوا من إخراج الفرنسيين ، ثم ظهرت أطماع كل منهم لحكم مصر.

ظهرت خلال تلك الفترة قوة رابعة – لم يحسب أحد حسابها ولم تخطر ببال المحتلين - تمثلت فى قادة الشعب المصرى وزعمائه الذين رغبوا فى التخلص من الإحتلال الأجنبى ، وقد إستطاع محمد على إستغلال هذه القوة الوطنية ، وإستطاع إستمالة مشايخ مصر لتختاره هو (الأجنبى) ليصبح حاكما على مصر (مايو ١٨٠٥م).

ووفقا لهذا الإختيار صدر فرمان الباب العالى بالأستانة بتولى محمد على ولاية مصر (يوليو ١٨٠٥م).

قام محمد على باشا بالقضاء على باقى المماليك البابات ليضمن حكم مصر منفردا دون قلاقل أو مضايقات ، وذلك فيما يعرف بمذبحة القلعة حيث يروى أنه قام بدعوة المماليك البابات إلى القلعة وماأن دخلوها حتى أغلقت الأبواب وذبحوا ذبحا.

إنجازات محمد على باشا

- إنشاء جيش مصرى حديث

قام محمد على بالإستعانة بكولونيل فرنسى سابق لتأسيس وتدريب جيش مصرى على أحدث النظم الأوربية. واستطاع هذا الجيش هزيمة الإنجليز فى موقعة رشيد سنة ١٨٠٧م (حملة فريزر) ، وقام محمد على بمحاربة الوهابيين بالحجاز ونجد ، وإستطاع ضمها لحكمه سنة ١٨١٨م ، وإتجه لمحاربة السودانيين للقضاء على فلول المماليك.

قام محمد على بمخاطبة والى عكا (أحمد باشا الجزار) لإعادة الفلاحين المصريين الهاربين من الضرائب ، إلا أن الأخير رفض بدعوى أنهم رعايا الدولة العثمانية ومن حقهم الذهاب إلى أى مكان ؛ فقام محمد على بمهاجمة عكا وإستطاع فتحها والإستيلاء على الشام ، وإنتصر على العثمانيين سنة ١٨٣٢م.

كاد محمد على يستولى على الاستانة العاصمة إلا أن روسيا وبريطانيا وفرنسا استطاعوا حماية السلطان العثمانى خوفا من تزايد نفوذ محمد على.

حارب السلطان العثمانى سنة ١٨٣٩م غير أنهم أجبروه على التراجع فى مؤتمر لندن سنة ١٨٤٠م ، وفرضوا عليه تحديد عدد الجيش والإقتصار على حكم مصر ، وأن تكون مصر ذات حكم ذاتى يتولاه من بعده أكبر أبنائه.

- إنشاء دار للمحفوظات (الدفترخانة)

وهى دار لحفظ الوثائق والمخطوطات الحكومية من السرقة والعبث ، كما تضم دفاتر الأطيان والأملاك والعيون والآبار وتقسيم الأطيان والعائلات ، وقد ضمت الدار فيما بعد عدد هائل من القضايا والأحكام ودفاتر المواليد والوفيات والجرائد وقرارات الخديوى ، والمعاهدات والاتفاقيات إلى غير ذلك.

- الزراعـــــة

تطورت سبل الزراعة والرى فى عصر محمد على حيث أنشأ القناطر على نهر النيل وأوجد زراعات جديدة كالقطن ، وكان هذا العصر يتميز بسياسة إحتكار الحكومة التى كانت تحدد نوع زراعة المحاصيل والأقاليم التى تزرعها والسعر الذى يتم البيع به (التسعيرة) ، وعلى الفلاحين توريد المحاصيل لشون الحكومة لتصديرها أو إرسالها إلى القاهرة و الإسكندرية أو توريدها للجيش المصرى.

- الصناعـــة

تطورت الصناعة فى عهد محمد على خاصة فى مجال صناعة النسيج ومعاصر الزيوت ، إلا أنه كان يجبر الفلاحين على العمل فى هذه المصانع عنوة وكانت أجورهم متدنية للغاية مما كان يدعوهم للفرار وتجبرهم الشرطة على العودة.

- التعليـــم

إهتم محمد على بالحركة الفكرية والثقافية فأرسل البعثات التعليمية إلى الخارج خاصة إلى إيطاليا وفرنسا ، وأنشأ المدارس الفنية ليلتحق خريجوها بالجيش ، وأنشأ المطبعة الأميرية ، وصدرت الوقائع المصرية فى عهده.

مرض محمد على مرضا شديدا ؛ فصدر فرمان من الباب العالى بعزله وتعيين الابن الأكبر ابراهيم باشا واليا على مصر فى مارس ١٨٤٨م ، توفى محمد على بالإسكندرية فى أغسطس ١٨٤٩م.

<u>ابراهيم باشا</u> . (مارس – نوفمبر١٨٤٨م)

كان ابراهيم باشا قائدا حربيا متميزا ، عينه والده قائدا للحملة المصرية ضد آل سعود (١٨١٦ – ١٨١٩م) فأخمد ثورتهم وأسر أميرهم وأرسله إلى القاهرة ، فكافأه السلطان العثمانى بتعيينه واليا على مكة ، إلا أن الغارات استمرت على جيشه واستعاد آل سعود دولتهم.

قام بقمع تمرد السودان (١٨٢١ – ١٨٢٢م) ، وقاد الجيش ضد ثورة اليونانيين على الحكم التركى ، وحين طمع محمد على باشا فى ممتلكات السلطنة العثمانية أرسله على رأس جيش ففتح فلسطين والشام واستطاع هزيمة الأتراك سنة ١٨٣٩م ، إلا أن الدول الأوربية أجبرته على الإنسحاب من المناطق التى فتحها.

تولى حكم مصر بفرمان من الباب العالى فى مارس ١٨٤٨م ، إلا أنه توفى فى نوفمبر من العام نفسه.

<u>عباس حلمى الأول</u> (١٨٤٨م– ١٨٥٤م)

وهو ابن أحمد طوسون باشا ابن محمد على باشا ، تولى الحكم وفقا لنظام الولاية الأرشد فالأرشد من نسل محمد على.

عاش حياة بذخة وانصرف عن أمور الدولة ؛ مما أدى إلى اضمحلال الجيش والبحرية فى عهده ، وأغلقت الكثير من المدارس والمعاهد.
بدأ فى عهده زيادة نفوذ الإنجليز على حساب الفرنسيين ....
اغتيل فى قصره فى بنها فى يوليو ١٨٥٤م.

<u>محمد سعيد باشا</u> (١٨٥٤م– ١٨٦٣م)

وهو ابن محمد على باشا ، وكان يصغر سلفه (ابن أخيه) ، ولذلك تولى عباس حلمى الأول الحكم حتى توفى ، ثم تولى محمد سعيد باشا الحكم وفقا لنظام الولاية.
تم في عهده الموافقة على حفر قناة السويس ، ومنح الشركة التى أسسها الفرنسى فردينالد ديليسبس (صديقه الشخصى) إمتيازات كثيرة.
قام بتخفيض الضرائب على الأرض الزراعية ، وألغى الجزية المفروضة على غير المسلمين ، وأصدر أمرا بضرورة تجنيد الأقباط ، كما خفض مدة التجنيد لتصبح سنة واحدة .
أغلق العديد من المدارس العليا التى أنشأها والده ، وقال (أمة جاهلة أسلس قيادة من أمة متعلمة).
توفى بالإسكندرية فى يناير ١٨٦٣م ونقل إلى مدافن الأسرة بالقاهرة.

<u>الخديوى اسماعيل</u> (١٨٦٣م– ١٨٧٩م)

وهو ابن ابراهيم ابن محمد على باشا.
حاول الخديوى اسماعيل السير على نهج جده من حيث تحديث مصر والاستقلال بها عن الدولة العثمانية.
قام بحصر وراثة العرش على أنجاله.
حارب تجارة الرقيق بالسودان ، وقام بتوسيع أملاك مصر فى أفريقيا ، قام بافتتاح قناة السويس للملاحة العالمية.
زادت ديون مصر الخارجية فى عهده زيادة كبيرة نتيجة البذخ الشديد ؛ مما أدى إلى زيادة نفوذ إنجلترا وفرنسا وتدخلهما فى الشئون الداخلية بحجة حماية ديونهما.
قامت إنجلترا وفرنسا بالضغط على السلطان العثمانى عبد الحميد الثانى لإصدار فرمان بعزل الخديوى اسماعيل وتنصيب ابنه محمد توفيق باشا خديوى لمصر .
توفى بالاستانة سنة ١٨٩٥م ودفن بمصر.
<u>الخديوى محمد توفيق</u> (١٨٧٩م– ١٨٩٢م)

اتفقت فرنسا وبريطانيا على المراقبة الثنائية على مالية مصر حماية لمصالحهما.

اندلعت الثورة العرابية فى عهده ؛ حيث طالبه أحمد عرابى (وهو قائد عسكرى مصرى ينحدر من أصول عراقية علوية) بترقية الضباط المصريين وزيادة عدد الجيش المصرى ، وذلك فيما سمى بهوجة عرابى سنة ١٨٨١م.

رضخ الخديوى لمطالب عرابى ، وشكل وزارة شبه وطنية برئاسة محمد شريف باشا ، التى شرعت فى وضع دستور للبلاد وأقر مجلس النواب معظم مواده ، إلا أن الوزارة تقدمت باستقالتها لزيادة ضغوط بريطانيا وفرنسا.

تشكلت وزارة برئاسة محمود سامى البارودى ، وكان عرابى وزيرا للجهادية (الدفاع) بها ، وأعلن الدستور فى فبراير ١٨٨٢م
نشب خلاف بين الخديوى ووزارة البارودى بسبب تنفيذ بعض الأحكام العسكرية ؛ فاتخذتها بريطانيا وفرنسا ذريعة لإرسال أسطوليهما إلى الإسكندرية بدعوى حماية الأجانب.
استطاعت بريطانيا وفرنسا إحداث مناوشات بين الأجانب والمصريين ، واتهمت عرابى بعدم قدرته على حماية الأجانب ، وصدر قرار مؤتمر استانبول بضرورة القضاء على عرابى.
وبسبب وضع بعض المدافع بقلعة الاسكندرية وجهت بريطانيا إنذارا إلى مصر بضرورة تسليم قلعة الاسكندرية أو ضربها بالمدافع ، كان الخديوى توفيق مراوغا مخادعا حيث حث عرابى على المقاومة وحرض القائد البريطانى على الهجوم.
قامت القوات البريطانية بالهجوم واستطاعت أسر أحمد عرابى فى معركة التل الكبير ، وواصلت تقدمها إلى الزقازيق ثم القاهرة ، وبدأ بذلك احتلال مصر سنة ١٨٨٢م.
توفي الخديوى محمد توفيق سنة ١٨٩٢م.
<u>الخديوى عباس حلمى الثانى</u> (١٨٩٢م- ١٩١٤م)

هو الابن الأكبر للخديوى محمد توفيق.

حاول أن ينتهج سياسة إصلاحية ، ويتقرب إلى المصريين ويقاوم الإحتلال البريطانى عن طريق تخفيض الاعتماد المخصص للجيش البريطانى ، إلا أن الإنجليز ضغطوا على الخديوى بتغيير الوزارات واستطاعوا احتلال السودان وفصلها عن مصر.
وقعت حادثة دنشواى سنة ١٩٠٦م حيث عقدت محاكمة صورية أصدرت أحكاما بإعدام عدد من المصريين بسبب وفاة جندى بريطانى بضربة شمس ، ظهر الزعيم مصطفى كامل منددا بهذه المذبحة داعيا إلى جلاء بريطانيا عن مصر والعودة إلى الخلافة العثمانية ؛ مما أدى إلى إعفاء اللورد كرومر (المندوب السامى البريطانى) من منصبه.
قام الخديوى بحث البرلمان والحكومة على رفض مد إمتياز قناة السويس على أساس أنه وقع غبن على مصر ...
قام المندوب السامى الجديد (اللورد كتشنر) بفرض رئيس نظار على الخديوى.

انتهز الإنجليز فرصة نشوب الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م ووجود الخديوى خارج مصر ؛ فطلبوا منه عدم العودة إلى مصر ، وفرضوا عليه الحماية رسميا وتم عزله فى ديسمبر ١٩١٤م بإدعاء إنضمامه لأعداء بريطانيا.

تنازل الخديوى عن كافة حقوقه فى عرش مصر بعد مفاوضات أجراها مع إسماعيل صدقى باشا مقابل مبلغ دفعته حكومة مصر.
نظرا لمواقف الخديوى عباس حلمى الثانى الإصلاحية ظل الشعب المصرى يهتف فى مظاهراته (عباس جاى) فى إشارة إلى عودة مصر للحكم العثمانى وانتهاء الاحتلال البريطانى.

توفى فى المنفى سنة ١٩٤٤م.
<u>السلطان حسين كامل</u> (١٩١٤م- ١٩١٧م)

هو ابن الخديوى اسماعيل ، أقامه الإنجليز سلطانا على مصر بعد عزل ابن أخيه الخديوى عباس حلمى الثانى ، وكان ذلك بمثابة إعلان بخروج مصر من سلطان تركيا مع وقوعها تحت الحماية الإنجليزية.

توفى فى أكتوبر ١٩١٧م

الملك فؤاد الأول (١٩١٧م- ١٩٣٦م)

هو الشقيق الأصغر للسلطان حسين كامل ، تولى الحكم وفقا لرغبة الإنجليز الذين تجاهلوا نظام الولاية المعمول به وتغاضوا عن المستحقين للولاية قبل فؤاد الأول ؛ حيث بحثوا عن أنسب شخص يخدم إمبراطوريتهم.

إندلعت فى عهده ثورة ١٩١٩م بسبب نفى سعد زغلول ورفاقه (الوفد المصرى المطالب باستقلال مصر عن بريطانيا) إلى جزيرة مالطة، وتعد ثورة ١٩ أكبر ثورة شعبية فى تاريخ مصر ، مما إضطر الإنجليز إلى عزل الحاكم البريطانى وإعادة سعد زغلول ورفاقه ، والسماح لهم بحضور مؤتمر الصلح بباريس الذى رفض مطالب الوفد المصرى وتم نفى سعد زغلول إلى جزيرة سيشل ، فازدادت الثورة اشتعالا فاضطرت بريطانيا إلى رفع الحماية عن مصر بموجب تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢م ، وبموجبه إعترفت بريطانيا بمصر كدولة مستقلة ذات سيادة ، ومع ذلك إحتفظت بقواعد عسكرية على أرضها بخلاف التدخل المستمر والمباشر فى شئون مصر الداخلية عن طريق الضغط على الملك.

أعلن الاستقلال عن بريطانيا فى مارس ١٩٢٢م ، وصدر دستور مصر فى أبريل ١٩٢٣م

أصدر السلطان فؤاد الأول أمرا بتنصيب نفسه ملكا على مصر سنة ١٩٢٢م .

قام الملك فؤاد الأول بإفتتاح البرلمان الجديد سنة ١٩٢٤م ، وتألفت في عهده أول وزارة شعبية برئاسة سعد زغلول.

توفى الملك فؤاد سنة ١٩٣٦م.

الملك فاروق الأول (١٩٣٦م- ١٩٥٢م)

خلف والده على العرش وهو دون السادسة عشر ، مما أوجب تشكيل مجلس وصاية لحين بلوغه السن القانونية.

مع إقتراب القوات الألمانية (خصم القوات البريطانية في الحرب العالمية الثانية) من العلمين بمصر ، طلب السفير البريطاني في فبراير ١٩٤٢م من الملك فاروق تشكيل حكومة إئتلافية (ممثلة لكافة الأحزاب) تحظى بتأييد الشعب وتحرص على الولاء لمعاهدة ١٩٣٦م مع بريطانيا.

رفض مصطفى النحاس باشا (زعيم حزب الوفد – حزب الأغلبية) تشكيل هذه الحكومة فهي تحول دون الإنفراد بالحكم.

قامت القوات البريطانية بمحاصرة الملك فاروق الأول بقصر عابدين ، وأجبره السفير البريطاني على التوقيع على قرار بإستدعاء مصطفى النحاس باشا لتشكيل حكومة بمفرده.

تميزت الفترة الأخيرة من عهد حكم الملك فاروق الأول بعدم تطبيق الدستور ، وكثرة التدخل في الانتخابات ، وتحالفه مع الأحزاب الصغيرة (نظرا لكرهه لحزب الوفد – حزب الأغلبية) ، تزايد نشاط البوليس السياسي.

قام مجموعة من ضباط الجيش المصرى بثورة فى يوليو ١٩٥٢م ، والتى أطاحت بالملك فاروق الأول وأجبرته على التنازل عن العرش لابنه الطفل.

غادر الملك فاروق مصر إلى إيطاليا التى توفى بها سنة ١٩٦٥م ودفن بالقاهرة.

الملك أحمد فؤاد الثانى (يوليو ١٩٥٢م – يونيو ١٩٥٣م)

تنازل له والده الملك فاروق الأول عن العرش تحت ضغط ثورة الجيش المصرى.
تشكلت لجنة وصاية على الملك حتى تم إعلان مصر جمهورية فى ١٨ يونيو ١٩٥٣م.

العصر الجمهورى

١٩٥٢م – ؟؟؟٢م

قامت ثورة الجيش المصرى فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢م بواسطة تنظيم داخل الجيش يدعى الضباط الأحرار ، وقد لاقت الثورة قبولا شعبيا للتخلص من حكم أسرة محمد على ومن الإحتلال البريطانى ، وللتخلص من عصر تزايد فيه الفساد وتحكم الأجانب فى مصير البلاد وعدم المساواة بين أبناء الشعب وبين أبناء الجاليات الأجنبية الذين تقررت لهم إمتيازات عديدة ، بخلاف سوء الخدمات المقدمة للشعب من تعليم وصحة وقضاء ، وقد تزايد فقر غالبية الشعب فى مقابل تزايد ثروات الحكام والنبلاء والمنتفعين.

وقد سميت بالثورة البيضاء لنجاحها فى الإستيلاء على الحكم دون إراقة دماء تذكر – سوى مقتل جنديين من جنود الحرس الملكى.

أجبرت هذه الثورة الملك فاروق الأول (آخر ملوك أسرة محمد على) على التنازل عن العرش لابنه الطفل (أحمد فؤاد الثانى) تحت لجنة وصاية ، حتى تم إعلان النظام الجمهورى فى ١٨ يونيو ١٩٥٣م.

<u>محمد نجيب</u> (١٩٥٢ – ١٩٥٤م)

هو أول رئيس لجمهورية مصر بعد قيام الثورة ، وكان يشغل منصب لواء أركان حرب بالجيش المصرى ، وكان يرعى التنظيم المخطط للثورة (تنظيم الضباط الأحرار) ، وهو تنظيم سرى تأسس بعد حرب فلسطين سنة ١٩٤٨م بغرض تخليص مصر من الإحتلال ، وكان رئيس مجلسه جمال عبد الناصر الذى تنازل عن الرئاسة لصالح محمد نجيب ؛ ليقدم إلى الشعب على أنه قائد للثورة لضمان نجاحها وتأييد الشعب لها لما عرف عن سمعته الطيبة ونزاهته.

بعد نجاح الثورة رأى محمد نجيب أن يعود الجيش إلى ثكناته وأن يتولى الحكم الساسة والأحزاب ، إلا أن بقية الضباط بمجلس قيادة الثورة (مدبر الثورة والحاكم الحقيقى) رفضوا ذلك لعدم ثقتهم فى الزعماء السياسيين ، والذين تم القبض على عديد منهم بتهمة الفساد السياسى.

صدر قرار مجلس الثورة بإلغاء النظام الملكى وإعلان النظام الجمهورى لمصر فى يونيو ١٩٥٣م ، وأعلنت مبادئ الثورة الستة وهى:

١. القضاء على الإقطاع
٢. القضاء على الاستعمار
٣. القضاء على سيطرة رأس المال
٤. بناء حياة ديمقراطية سليمة
٥. بناء جيش وطنى قوى
٦. تحقيق العدالة الإجتماعية بين أفراد الشعب

قرر مجلس قيادة الثورة عزل محمد نجيب لرغبته فى الحصول على صلاحيات أكبر بإعتباره رئيسا لمصر ، ولكنه عاد بعد مطالبة الجيش والشعب بإعادته ، ولكن تم إعفاءه مرة أخرى فى فبراير ١٩٥٤م من كافة مناصبه وتحديد إقامته فى منطقة منعزلة بعد ثبوت إتصاله بجماعة الإخوان المسلمين والتى سبق صدور قرار من مجلس قيادة الثورة بحلها.

<u>جمال عبد الناصر</u> (١٩٥٤ – ١٩٧٠م)

هو القائد الحقيقى للثورة والعقل المدبر لها ورئيس تنظيم الضباط الأحرار والذى تنازل عن رئاسته من أجل ضمان نجاح الثورة ، تولى قيادة البلاد بعد إقصاء محمد نجيب سنة ١٩٥٤م ، تم فى عهده إجلاء الإنجليز عن مصر فى سنة ١٩٥٦م

حاول جمال عبد الناصر القيام بإصلاحات داخلية وتوطيد العلاقات الخارجية ، مع وجود بعض السلبيات المرتبطة بفترة حكمه.

ومن أهم ملامح هذه الفترة:

- وضع ميثاق وطنى للعمل بموجبه ، ثم وضع دستور مؤقت للبلاد لتنظيم الحياة السياسية ، وإلغاء الحياة السياسية الديموقراطية ، وتوحيد العمل السياسى فى الاتحاد القومى ثم الاتحاد الإشتراكى.
- إلغاء كافة أنشطة التيارات الإسلامية ومصادرة كافة الآراء المعارضة
- وضع مشروع الإصلاح الزراعى ، وتم بمقتضاه توزيع الأراضى الزراعية على صغار الفلاحين مع تحديد الملكية بحد أقصى للقضاء على الإقطاع
- فرض التأميم والحراسات على ممتلكات الإقطاعيين والرأسماليين وإستغلالها لصالح الشعب
- الوحدة مع سوريا فيما عرف بالجمهورية العربية المتحدة إلا أن الوحدة فشلت بعد مدة قصيرة
- إنشاء العديد من المصانع فى محاولة لإحداث نهضة صناعية ، وإصدار تشريعات فى صالح العمال
- الإهتمام بتكوين جيش قوى وتدعيمه بالسلاح من مصادر متعددة
- الإهتمام بنظم التعليم وجعله مجانيا ، وجعل التعليم الإبتدائى تعليما إلزاميا ، والبدء فى إنشاء جامعات إقليمية
- الإهتمام بالطبقات الفقيرة من حيث توفير السلع الرئيسية والعلاج بسعر مناسب
- تدعيم أواصر الصلة مع الدول العربية ومساندتها لتحريرها من الإحتلال الأجنبى مما أدى إلى فقد أرواح وإنفاق أموال كثيرة خاصة فى الحرب بجانب اليمن
- مساعدة المعارضين على التخلص من الأنظمة الملكية (خاصة الأردن والسعودية) مما أدى إلى توتر العلاقات معهما

- العمل بمبدأ تولية أهل الثقة بدلا من أهل الكفاءة ؛ مما أدى إلى سوء إدارة كثير من المؤسسات
- تدعيم العلاقات مع الدول الناهضة وتأسيس جبهة عدم الإنحياز الدولية مع الهند ويوغوسلافيا
- الإشتراك فى تأسيس المنظمات الدولية مثل منظمة الوحدة الإفريقية
- تبنى مشروع لإنشاء السد العالى بأسوان لحجز مياه فيضان النيل بدلا من فقدانها بالبحر ، وللإستفادة منها وتكوين مخزون إستراتيجى من المياه

حاولت قيادة مصر تمويل إنشاء السد العالى عن طريق البنك الدولى ؛ إلا أنه البنك الدولى رفض إعطاء قرض لمصر لهذا المشروع ؛ مما دفع جمال عبد الناصر إلى تأميم شركة قناة السويس (وكانت شركة فرنسية إنجليزية) وإعادة سيادتها إلى حكومة مصر سنة ١٩٥٦م.

أدى ذلك إلى قيام تحالف ثلاثى (إنجلترا – فرنسا – إسرائيل) بالعدوان على مصر ردا على قرار التأميم محاولين إحتلال قناة السويس بحجة حماية مصالحهم ، وإستطاعت قوى الشعب والجيش مقاومة العدوان حتى إستطاعت القيادة تحقيق النصر سياسيا عن طريق إستصدار قرار دولى بإنسحاب قوات التحالف المعتدى.

قامت إسرائيل (وهى عبارة عن مجموعة من اليهود المهاجرين الذين تجمعوا بأرض فلسطين ، وإستطاعوا الحصول على وعود ودعم من بعض الدول الأوربية وأمريكا لتكوين دولة يهودية ، وإستطاعوا تملك وإحتلال مساحات كبيرة من فلسطين وإعتبروها وطنا لهم) سنة ١٩٦٧م بالعدوان على مصر وهزيمة جيشها قبل إعطائه الفرصة لدخول الحرب ، وإستطاعت إسرائيل إحتلال شبه جزيرة سيناء مما أدى إلى إغلاق قناة السويس.

حاول جمال عبد الناصر التنحى عن الحكم والإبتعاد عن الحياة السياسية معلنا مسئوليته عن الهزيمة بإعتباره المسئول الأول عن البلاد ، إلا أن تمسك الجيش والشعب به أدى إلى تراجعه وإستمراره فى القيادة.

بدأ جمال عبد الناصر الإعداد لحرب مع إسرائيل عن طريق إعادة تنظيم وتسليح الجيش ، وشن هجمات متفرقة على أهداف إسرائيلية فيما عرف بحرب الإستنزاف ، إلا أن القدر لم يمهله وتوفى سنة ١٩٧٠م قبل دخول الحرب مع إسرائيل.

<u>محمد أنور السادات</u> (١٩٧٠ – ١٩٨١م)

تولى حكم مصر بعد وفاة جمال عبد الناصر ، وكان نائبا له وأحد الضباط الأحرار المشاركين فى ثورة الجيش.

أهم ملامح فترة حكم السادات:

- القضاء على مراكز القوى (مستغلى المناصب) فيما سمى بثورة التصحيح – مايو ١٩٧١م
- إستكمال ما بدأه سلفه من الإعداد للحرب مع إسرائيل ، ودخول حرب أكتوبر ١٩٧٣م ، والإنتصار بها بعد التنسيق مع سوريا لدخول حرب مع إسرائيل فى الجولان ؛ مما أدى إلى تشتيت القوات الإسرائيلية وإرباك قيادتهم ، وتم إستخدام سلاح البترول العربى الذى كان له أثر كبير فى الإنتصار.
- إصدار قانون الإستثمار (١٩٧٤م) الذى منح مزايا إقتصادية وإعفاءات ضريبية لجذب رؤوس الأموال العربية والأجنبية للاستثمار فى مصر تطبيقا لسياسة الإنفتاح الإقتصادى
- الإهتمام بتحسين العلاقات الخارجية خاصة مع الدول الأوربية وأمريكا
- العمل بمبدأ (أنا الدولة والدولة أنا) وهو يتفق تماما مع المبدأ الفرعونى الغارق فى القدم بأن الحاكم هو الدولة

وأوامره دائما مطاعة دون نقاش ، مما أغرى أنور السادات على إصدار القرارات دون توقع صدور أى معارضة.

- إهمال الإصلاحات الداخلية وعدم الإهتمام الكافى بمتطلبات الشعب الأساسية
- إعادة إفتتاح مجرى قناة السويس أمام الملاحة الدولية
- إبرام إتفاقية سلام مع إسرائيل فيما عرف بإتفاقية كامب ديفيد ، والتى كانت سببا مباشرا فى قطع معظم البلاد العربية لعلاقاتها مع مصر، ونقل مقر جامعة الدول العربية من القاهرة إلى تونس ، بخلاف وجود معارضة بين صفوف الشعب المصرى لهذه الإتفاقية لعدة أسباب أهمها إستغلال إسرائيل لتخلى مصر عن مساندتها للعرب فى إحكام فرض سيطرتها على الأراضى المحتلة بفلسطين وفى الإعتداء على لبنان وسوريا ، بالإضافة إلى نكوث إسرائيل المتوقع عن هذه الإتفاقية فى الوقت الذى تراه مناسبا للهجوم على مصر.

تم إغتيال محمد أنور السادات سنة ١٩٨١م أثناء العرض العسكرى الخاص باحتفالات الجيش بذكرى إنتصار أكتوبر ، وذلك بيد بعض عناصر من الجيش ، وكان الشعب المصرى فى أوج سخطه والجماعات الإسلامية فى قمة نشاطها المعادى للسلطة التى بالغت فى غطرستها وأطاحت بالمعارضين.

<u>محمد حسنى مبارك</u> (١٩٨١ – ؟؟٢٠م)

تولى الحكم بعد إغتيال محمد أنور السادات ، وكان نائبا له وأحد قادة إنتصار حرب أكتوبر ١٩٧٣م.

لايمكن تحديد ملامح فترة حكم محمد حسنى مبارك بإعتبارها حاضرا يصعب الحكم عليه عن قرب ، إذ يحسن الإنتظار فترة مناسبة لتحديد الملامح بشكل أكثر دقة وحيادية.

أعظم إنجازات ثورة يوليو – في رأيي الشخصي - عودة الحكم للمصريين ، والذى غاب عنهم فترات كثيرة (أكثر من ثلاثة آلاف سنة) منذ نحو سنة ١٠٧٠ قبل الميلاد (فيما عدا فترات قصيرة).

إن تجربة حكم المصريين لأنفسهم تحمل إيجابيات وسلبيات ، ويجب أن ينتظر الشعب المصرى مدة مناسبة حتى تنضج معالم هذه التجربة ، ويحاول تطويرها مع تطور إحتياجاته وطموحاته.

قد يقول البعض أن الحكم مازال عسكريا ، بإعتبار كافة الرؤساء منذ قيام الثورة كانوا ضباطا بالجيش المصري ويجب ترك الحكم للمدنيين والسياسيين (كرأى محمد نجيب – أول رئيس للجمهورية ، وبعض السياسيين المعاصرين) ، ولكن بنظرة سريعة إلى الماضى البعيد نجد أن معظم حكام مصر (إن لم يكن كلهم) قادة عسكريين سواء كانوا مصريين أو أجانب ، وربما يكون ذلك لحاجة مصر الدائمة إلى حماية باعتبارها مستهدفة بحكم موقعها وثرواتها ؛ مما يجعلها مطمع للمحتلين.

عموما هذا الرأى يجب أن يكون للشعب – المفترض أن يكون صاحب الإختيار الوحيد – ليعيش تجربته ويتعايش معها ... له أن يجرب وأن يحتاط ... له أن يخطئ وأن يصيب.

المهم أن المصريين بدأوا يحكمون أنفسهم بعدغياب طويل.

فهل يستطيع المصريون الحفاظ على هذا الإنجاز التاريخى بعودة الحكم إليهم؟
وهل يستطيع المصريون اللحاق بما فاتهم من تقدم ورقى ؟
وهل يستطيع الشعب المصرى التغلب على تأثيرات فترات الإحتلال الطويلة؟

أسئلة كثيرة سوف يجيب التاريخ عليها.

تعليق شخصى

من خلال الإستعراض الموجز للتاريخ المصرى عبر العصور المختلفة أرى أن تعاقب المحتلين على مصر لمدد طويلة قد أثر على الشعب المصرى من كافة النواحى ، وطبقا لرأيى المتواضع ، كما يلى:

<u>الناحية السياسية:</u>

تفتقر مصر إلى وجود نظام سياسى ناضج لقلة الخبرة وعدم ممارسة الحياة السياسية المستقلة منذ آلاف السنوات ؛ وذلك على الرغم من التطورات الحديثة وأهمها إصدار ميثاق ودستور مؤقت ثم دستور دائم ثم تعديلات على هذا الدستور أثارت بعضا من التساؤلات عن مضمون التعديلات وأهدافها ، ورغم تكوين مجالس نيابية وشورى ، ورغم إصدار العديد من التشريعات المنظمة للحياة السياسية ؛ إلا أن التجربة المستقلة مازالت تفتقر كثيرا إلى النضج والواقعية.

ومنذ بداية التاريخ نجد أن العصر الفرعونى – والذى يعد أول عصر مصرى خالص معروف - لم يكن عصرا ديموقراطيا ؛ فلم يشترك الشعب فى إختيار حكامه ولم يكن له الحق فى إبداء الرأى فى قراراتهم المصيرية ؛ بل تداولت السلطة بين طبقة معينة بطريق الوراثة تارة وطريق المؤامرة تارة أخرى.

فحين يقرر فرعون أمرا فعلى الجميع الإمتثال لأوامره ، فإذا قرر مثلا القيام بحملة عسكرية (بصرف النظر عن أسبابها وأهدافها) فليس للشعب حق الإعتراض بل عليه أن يشارك بالأفراد والمؤن والدعاء للفرعون القائد المغوار.

وحين يقرر فرعون توقيع إتفاق سلام مع الأعداء فليس للشعب أن يسأل عن المبررات والمزايا بل عليه الإنصياع لقرار فرعون ورؤيته الحكيمة فقط.

وحين يطالب الشعب بتعديل تشريعى ، فللحاكم أن يمن – من خلال مؤسساته وحكومته وتشريعه - على الشعب بما يريده هو وليس مايريده الشعب.

لذلك تعود الشعب المصرى على الرضوخ – فى أغلب الأحوال - لأوامر الحاكم المصرى أو المحتل الأجنبى أيا كان ، فقديما كان الشعب يعتبر فرعون ابن الإله وأوامره لاتقبل المناقشة أو التأويل ... حتى المحتلين لم يجرؤ الشعب على مقاومتهم أو طردهم إلا بمساعدة محتل آخر .. وحديثا ينظر الشعب إلى الحاكم أو من بيده سلطة نظرة تقديس وإحترام وأحيانا إستجداء فى حين يضمر عكس ذلك ، ولايجرؤ على المعارضة أو المناقشة ... فإذا زالت السلطة ظهرت المشاعر الحقيقية إلى السطح مضافا إليها حقد وتشفى لزوال السلطة حتى لو لم يكن صاحبها مستغلا ، وحتى لو لم يكن المتشفى سبق تضرره أو تعرفه أصلا بهذا الشخص ، ولكنه ميراث قديم تجاه السلطة ينتقل من جيل لآخر.

وكانت مصر مسرحا لصراعات المحتلين ، وكان أبناء الشعب يجبرون على قتال أحد الأطراف لصالح طرف آخر ، والطرفان سواء .... محتلين ، وليس للشعب ذنب فى هذا الصراع أو مستفيدا منه.

والشعب المصرى يؤثر السلامة دائما بعيدا عن جبروت الحاكم ، فإذا ما زاد طغيانه بحث الشعب عن قائد أو مخلص (غالبا غير مصرى) لينقذه من الحاكم الحالى ، ويتولى حكم مصر حتى إذا مازاد طغيانه بحث الشعب عن قائد أو مخلص آخر (غالبا غير مصرى أيضا) وهكذا على مدار نحو ثلاثة آلاف سنة.

ولنستعرض ما ذكره بيان الحملة الفرنسية عن مصر فى هذا الشأن وملخصه ومضمونه:

(الأخبار بأن قطر مصر هو المركز الوحيد وأنه أخصب البلاد وكان يجلب إليه المتاجر من البلاد البعيدة ، وأن العلوم والصنائع والقراءة والكتابة التي يعرفها الناس في هذه الدنيا أخذت عن أجداد أهل مصر الأول ، ولكون قطر مصر بهذه الصفات طمعت الأمم في تملكه فملكه أهل بابل وملكه اليونانيون والعرب والترك الآن إلا أن دولة الترك شددت في خرابه لأنها إذا حصلت الثمرة قطعت عروقها فلذلك لم يبقوا بأيدي الناس إلا القدر اليسير وصار الناس لأجل ذلك مختفين تحت حجاب الفقر وقاية لأنفسهم من سوء ظلمهم ، ثم إن طائفة الفرنساوية بعدما تمهد أمرهم وبعد صيتهم بقيامهم بأمور الحروب اشتاقت لأنفسهم لاستخلاص مصر مما هي فيه وإراحة أهلها من تغلب هذه الدولة المفعمة جهلا وغباوة فقدموا وحصل لهم النصرة ومع ذلك لم يتعرضوا لأحد من

الناس ولم يعاملوا الناس بقسوة وأن غرضهم تنظيم أمور مصر وإجراء خلجانها التي نثرت ويصير لها طريقان: طريق الى البحر الأسود وطريق الى البحر الأحمر؛ فيزداد خصبها وريعها ومنع القوي من ظلم الضعيف وغير ذلك استجلا بالخواطر أهلها وإبقاء للذكر الحسن ، فالمناسب من أهلها ترك الشغب وإخلاص المودة وإن هذه الطوائف المحضرة من الأقاليم يترتب على حضورها أمور جليلة لأنهم أهل خبرة وعقل فيسألون عن أمور ضرورية ويجيبون عنها فينتج لصاري عسكر من ذلك ما يليق صنعه).

وهكذا نجد أن الحملة الفرنسية إكتشفت أهمية مصر وطمع الكثيرين فى خيراتها منذ القدم ، وأن أهلها طيبين يمكن إستمالتهم والاستفادة من خبراتهم لصالح المحتلين.

ولفقدان الشعب الثقة فى قدرته على إدارة أموره ، فهو يبحث دائما عن حاكم أجنبى ، والأمثلة كثيرة عبر التاريخ ، وكان آخرها تعبير مشايخ الشعب وكبراؤه عن رغبتهم فى نبذ الاحتلال الأجنبى بعد الحملة الفرنسية ، ولعدم ثقتهم فى أنفسهم إختاروا أجنبيا (محمد على) ليحكم الشعب المصرى ، (محمد على) ذلك الذى أقام نهضة زراعية وصناعية وثقافية لمصلحته ومصلحة أسرته – وإن استفادت مصر منها - وقاد الحملات العسكرية (جنودها وقوادها مصريين) لتنفيذ طموحاته فى السيطرة وإسقاط الدولة العثمانية ، (محمد على) الذى فرض على مصر نظام حكم يقتصر على أسرته ، ولم يجد معارضة أو مقاومة من الشعب المصرى ، بل واجه مقاومة من العثمانيين وحلفائهم خوفا من إنتشار نفوذه.

لم تقم ثورة منذ بدأ (محمد على) حكم مصر إلا حين تزايد نفوذ الأجانب ، فقامت محاولات لتقليل هذا النفوذ – انتهت بعضها بالإحتلال (هوجة عرابى) وانتهى بعضها الآخر بمنح الاستقلال الصورى لمصر ، وذلك دون التعرض للحاكم غير المصرى المفروض ....

كانت المقاومة مجرد محاولات غير منظمة تعبر عن رفض جماعة للواقع ودفاعها عن وجهة نظرها وغاية مرادها أن تصل الرسالة إلى الحاكم

(المفروض) حتى يتعطف ويعطى حقا للشعب ، ومعظم الشعب يتفرج ويتحدث ويشجع دون أن يتدخل خوفا من بطش الحاكم ... في إنتظار ماتسفر عنه المواجهة ليهنئ الفائز أيا كان ويغنى له ويمدحه.

وبعد قيام ثورة يوليو ٥٢ حاول القادة والحكومات المتعاقبة وضع دستور ونظام ومنهج ، وحاولوا الإستفادة من تجارب الآخرين ... أخطأوا وأصابوا ، ولكن الخوف من جهل المصريين وعدم وعيهم السياسى يحجم كثيرا من إتخاذ خطوات جادة سريعة نحو تحقيق نظام سياسى متوازن يلبى إحتياجات الشعب وطموحاته.

كما أن رد فعل المصريين أنفسهم من تجاهل المشاركة فى الحياة السياسية (كمواطن وليس كمنتفع أو معارض من أجل المعارضة) يعوق التقدم المأمول على المدى القصير ، ويعود ذلك لفقدان الثقة فى أنفسهم وفى حكوماتهم وفى جدوى المشاركة وأهميتها ....

تداعيات كثيرة أثرت على شعور المصريين بالإنتماء إلى مصر ، وجعلتهم يبحثون عن إنتماء آخر غير الإنتماء السياسى ... جعلتهم يحسون أن مصر ليست وطنا لهم بل وطن كل الغرباء والمحتلين الذين مازالوا يحصلون على إمتيازات وحقوق تفوق مايحصل عليه حاملو الجنسية المصرية ، ومهما قيل عن كذب هذا الإدعاء فإن واقع الحال أبلغ كثيرا من الأقوال المرسلة.

هذه التفرقة فى المعاملة تجدها فى أجهزة الدولة وتجدها فى الفنادق ، وتجدها مع مسئول كبير وتجدها مع سائق (تاكسى) .. هذه التفرقة جعلت بعض المصريين يبحثون عن جنسية أخرى يحتمون بها ، وجعلت البعض الآخر يبحث عن إنتماء مذهبى أو سياسى يدين له بالولاء حتى لو كان على حساب الدولة التى لايحس أنها تمثل وطنا ، بل جعل وطنه هو إنتماؤه لهذا المذهب أو تلك الجماعة ... هذه التفرقة فى المعاملة وتمييز الطبقة الحاكمة والأجانب وتنامى شعور عدم الإنتماء جعلت الغالبية من شعب مصر يعيشون بلا هدف أو طموح حقيقى .. كما يقولون فى المثل العامى (يعيشون يومهم) دون أى تخطيط للمستقبل أو ثقة فى تحسنه لصالحهم.

إن تجارب التاريخ جعلت المصريين يفقدون الثقة فى الحكام وفى أصحاب المناصب بصفة عامة ، وينظرون بكثير من الشك نحو تصرفاتهم وأقوالهم ، والتى يتوقعون أنها دائما تكون لمصالحهم الخاصة ولايمكن أن تمثل خيرا للشعب.

ولن يستعيد الشعب المصرى ثقته فى الحكم إلا إذا تأكد من مصداقية الوعود وحقيقة الإصلاحات ، إلا إذا أحس بالفعل بتأثير النمو والرخاء فى حياته اليومية ، إلا إذا رأى وسمع العدل ينتشر بين الشعب دون تفرقة لأى سبب ، إلا إذا شعر أن المعارضة حق لايستوجب العقاب وأن الرأى الأصوب يؤخذ به سواء كان من الحكومة أو من المعارضة .... حينها يشارك الشعب بجدية فى الحياة السياسية ليخطط لمستقبله.

هذه الثقة تحتاج إلى وقت .. وقت تجرب فيه الحكومات سياسات مختلفة .. وقت يختبر خلاله الشعب حكوماته ... وقت يتحول فيه إنتماء المصريين ليصبح لبلدهم ... فهل تستطيع الحكومات والشعب أن يتعاونا ليعبرا هذه المرحلة بسرعة والتى تحتاج لمجهود لتلغى تأثير آلاف السنوات؟.

الناحية الإقتصادية:

دائما توجد فئة قليلة من المنتفعين المحيطين بطبقة الحكام والنبلاء ، والذين يفرضون ضرائب باهظة على الشعب أو يتحكمون فى مصادر الثروات ويحتكرون السلع والخدمات ليحققوا ثروات هائلة ، مما أوجد فجوة كبيرة بين الطبقة الحاكمة وحاشيتها وغالبية الشعب ، وذلك على مدار كافة العصور.

كما أن دخول الشعب المصرى رغما عنه فى حروب وصراعات بين أطراف يتنازعون إحتلاله أفقده الكثير من القوى البشرية والموارد الإقتصادية دون مبرر.

لم يكن هناك إهتمام كاف من جانب الحكام بالتنمية الزراعية أو الصناعية ؛ إلا فى حالة وجود إستفادة شخصية للحاكم من هذه النهضة كأن تزيد خزائنه إنتفاخا وعائلته ثراء أو إستعدادا لحملات عسكرية لغزو البلاد المجاورة أو الدفاع عن إحتلاله للبلاد ..

لذلك عاش غالبية الشعب فترات كثيرة فى حالة شديدة من الفقر ، وعانى كثيرا من غلاء الأسعار مع قلة الأعمال أو نقص العائد المناسب لها بسبب سيطرة الحكام والتشغيل دون مقابل أو بمقابل زهيد لدى الحكومة ، وإزدياد الضرائب وإجبار المزارعين على توريد حاصلاتهم للحكومة بمقابل ضعيف ؛ كل هذا أدى إلى وجود معاناة طويلة من الفقر والذى يؤدى إلى تزايد الجهل والمرض.

هذه المعاناة أدت إلى إختلال المقاييس لدى المصرى التى يمكن أن تتيح الثراء بشكل منطقى أو متناسب مع المجهود والخبرة ، هذا الإختلال أدى إلى تفشى الفساد والرشوة لتحقيق منافع شخصية على حساب الحكومة المستبدة وعلى حساب الأفراد الآخرين ، المهم إستغلال الظروف والمنصب لتحقيق الثراء المنشود ... ذلك الثراء الذى يسمح بالإقتراب من أصحاب النفوذ والإنتقال إلى طبقة مترفة وتحقيق الأمان ضد تقلبات الزمن (دائما هناك شعور بعدم الأمان لدى المصرى ، وتوقع بعدم بقاء الحال بل تغيره إلى الأسوأ ، وتيقن من عدم قيام أحد يتحمل أعبائه وقت الشدة) لذلك يعتبر المال هو الملاذ الوحيد وقد يسبق السلطة والمنصب فى الأهمية.

ويجد المصريون مبررات كثيرة لمقاومة الحكومة والتسبب فى خسارتها أموالا طائلة ، ويجدون سعادة غريبة فى ذلك ، ربما يكون مصدر السعادة فى عدم القدرة على مقاومة الحكومة بالكلمة أو الفعل بشكل مباشر فليكن مقاومتها فى شكل تكسير قراراتها وخرق لوائحها.

ولايتعرض المصرى لرغبته فى الثراء السريع والانتقال إلى طبقة الأثرياء التى تتمتع بامتيازات خاصة .

لايناقش المصرى مدى أحقيته فيما يقوم به أومدى قانونية أعماله ... بل يكون المبرر الجاهز هو ظروف الحياة القاسية والغلاء المتواصل.

بل أن المصرى يستخف بالأضرار المختلفة التى تتسبب نتيجة خرق القوانين واللوائح ومنها أضرار صحية وبيئية وإقتصادية وإجتماعية ، ولايخطر على ذهن المصرى كيفية إصلاح المجتمع والحكومة بدلا من هدمها وهدم النظام كله ...

المهم تحقيق مصلحته الشخصية ، ولسان حاله يقول (الكل يفعل ذلك فلماذا أمتنع أنا عندما تأتى الفرصة؟) ..

أنانية صنعتها ظروفه وتعرضه للقهر المستمر من الحاكم وأعوانه على مدار التاريخ ... قهر لايراع مصلحة شعب أو يطبق أبسط حقوق الإنسان ... قهر دفع المصرى إلى محاولة المقاومة بطرق غير مباشرة ربما لعجزه عن دفع الإحتلال أو تغيير الحاكم ، وربما لإستسلامه لليأس ، وربما لإستسهاله الكسب السريع و(ركوب الموجة) ، ورغبته فى تخطى الفقر والإقتراب من السلطة عن طريق منصب حصل إليه بالتوسط أو ثراء وصل إليه بطرق ملتوية ...

الغريب أن الجميع يعلم أنه يستغل غيره لتحقيق منافع شخصية وأن غيره يستغله لتحقيق منافع شخصية ، والمحصلة واحدة – دائرة مكتملة يلف الجميع حولها - ولكن بشكل غير قانونى أحيانا وغير أخلاقى أحيانا أخرى ... والجميع راض وقانع بالوضع القائم ، يسخط حينا وينكر حينا ويسكت حينا آخر – ولكن فى قرارة نفسه لايمانع طالما أنه غير متضرر.

لم تكف فترة مابعد ثورة يوليو فى إصلاح ماأفسده الزمن الطويل ، بل إستمر حال الحاكم والمحكوم - الغنى والفقير - على نفس المفاهيم القديمة فى كثير من الأحيان ، ومازال المصريون بحاجة إلى توجيه ووازع وقدوة يصدهم عن الفساد وعن إفساد محاولات الإصلاح (إن وجدت).

الناحية الإجتماعية:

لم يهتم الحكام على مدار التاريخ – سواء كانوا فراعنة أو محتلين على إختلاف أجناسهم - بحالة الشعب المصرى إلا فيما يضمن لهم حكم البلاد وإستمرار الحصول على خيراتها ، لذلك ظلت كافة الخدمات لغالبية الشعب دون المستوى خاصة فى مجالات التعليم والصحة مما أدى إلى تدنيهما.

ويظهر ذلك – فى رأيى - فى الآثار التى تركها قدماء المصريين ، والتى توضح بناء المعابد والأهرامات والمقابر للحكام الفراعنة أو القصور الفاخرة للحكام والملوك والسلاطين ؛ والتى أعتقد أنها بنيت بالسخرة ؛ ولم نجد مساحة دونها الكتبة تخص الحياة الشعبية إلا فيما ندر ؛ مما يوحى بطغيان الحكام بعدم السماح للكتبة بتدوين مظاهر الحياة أو عدم رغبة الكتبة ذاتهم – لسبب أو لآخر - فى تدوين مايلاقيه الشعب من هوان.

وعلى سبيل المثال فإن النهضة التعليمية التى قام بها (محمد على) والبعثات الدراسية كانت بهدف تطوير الزراعة والصناعة والجيش لمصلحته الشخصية ومصلحة أولاده فى المقام الأول والأخير ، وكانت هذه النهضة وسيلة تحقيق هذه المصالح ... صحيح أن الشعب المصرى إستفاد بهذه النهضة لفترات طويلة قد تمتد إلى يومنا هذا ، ولكن لايمكن أن نتناسى الهدف الحقيقى وراء هذه النهضة ، والتى لم تكن أبدا مصلحة أبناء الشعب المصرى.

وفى العصر الحديث فإن نهضة التعليم أو أى قطاع آخر يعتمد بصفة أساسية على المعونات الخارجية (الموجهة) وفى ضوء الأزمات التى يتعرض لها الشعب لفترة طويلة مما يستلزم التدخل السريع لتدارك المشكلة .... وفى أحيان كثيرة يكون التدخل صوريا وإعلاميا بغرض تنفيذ تعليمات عليا والإهتمام بعرض نتائج ومعدلات متفائلة ، دون البحث عن حقيقة وواقع هذه الأرقام والنتائج ودون الإهتمام بما يحتاجه الشعب خلال الفترات المقبلة ... لذلك فإن معظم المجهودات تضع الشعب المصرى دائما فى المؤخرة لأن التفكير يأتى متأخرا قاصرا والتنفيذ يكون متباطئا ضعيفا والنتيجة دائما متخاذلة خادعة.

أما النواحي الإجرائية الحكومية والأمنية والقضائية فتكون في صالح الحكام والنبلاء والأجانب - في أغلب الأحوال - دون مراعاة العدالة وحقوق أبناء البلد ؛ ويسمع الشعب أحاديث وتصريحات تبتعد تماما عن الذى يعانيه فى حياته اليومية.

تأثر الشعب المصرى بذلك على مدار تاريخه الطويل ، فحاول التعود على قبول أوامر الحاكم أيا كانت ، وتملق من بيدهم مقاليد الأمور لإنهاء موضوعه ، ونبذهم حال بعدهم عن السلطة .. كل هذا أوجد فى نفوس معظم المصريين شعور اللامبالاة والسلبية وضغينة دفينة ضد السلطة ... وحتى حين يندمج المصرى فى حوار ساخن حول الأوضاع فى البلاد تجده يتراجع سريعا خوفا أو (زهقا).

وغالبا مايبتعد الشعب عن المقاومة الصريحة خوفا من بطش الحكام والولاة ، ويلجأ إلى القصص والنكات المستترة كنوع من التنفيس ، وربما إستغل بعض الحكام ذلك بالسماح للشعب بهذه الوسائل لتخفيف الكبت النفسى الذى يحسون به بدلا من توجيهه إلى نواحى عملية للمقاومة أو التخريب.

وتأثرت الفنون والآداب بتلك النواحى فكان الفن الرمزى (غير الصريح) والذى يعبر عن آلام وطموحات الشعب بطريقة مستترة وأحيانا هزلية ، وكان الفن المنافق الذى يمجد الحاكم ويبالغ فى تجميل صورته ووصف إنتصاراته وأخباره ، ويبالغ فى نعته بالحكمة والذكاء طمعا فى رضائه وعطاياه وخوفا من بطشه وعقابه.

الناحيـة الدينـيـة:

تأثر الشعب المصرى بعقيدة الحكام أو إرادتهم فى فرض ديانة ما على الشعب...

فقد كان يدين الشعب بدياناته القديمة فى العصر الفرعونى وفقا لما يراه فرعون (إبن الإله) والكهنة ... وخلال هذا العصر القديم كان يعتبر حورس هو الإله الرئيسى ، ثم أصبح آمون رع هو رب الأرباب.

إلى أن أتى الفرعون (إخن آتون) ودعا بدين جديد واعتبر آتون هو مصدر الآلهة وفرض عبادته ومنع عبادة غيره ؛ فتبعه الشعب دون مناقشة ، فيما عدا كهنة آمون الذين ثاروا ضده وحرضوا أسرته ضده (ليس عن إقتناع تام بعقيدتهم أوعدم إقتناع بعقيدة إخن آتون ، ولكن خوفا على مصلحتهم وحرصهم على عدم سحب النفوذ والسيطرة من بين أيديهم).

وبعد تولى توت عنخ الحكم إستطاع كهنة آمون إستصدار قرار بحرية العبادة وإمكانية العودة إلى عبادة آمون ، فعاد الشعب إلى عبادته بتأثير الكهنة والفراعنة اللاحقين دون مناقشة (ودون أن تظل فئة على عبادة إخن آتون .... فلم يكن أحد مقتنعا بهذا أو ذاك ولكنها قرارات فرعون).

ثم ظهرت الديانة اليهودية والتى بدأت بمصر ؛ حيث واجه النبى موسى فرعون برسالته فما كان منه إلا أن طارده حتى نجى الله نبيه وغرق فرعون وجنوده ، ورغم ذلك لم يؤمن كثير من المصريين برسالة موسى تنفيذا لأوامر فرعون وأتباعه.

وأتى الاحتلال الرومانى ... ولما أصبحت الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية هى الديانة المسيحية ، وصدر الأمر الإمبراطورى بفرض الديانة المسيحية على أرجاء الإمبراطورية أصبح غالبية الشعب المصرى مسيحيا دون مقاومة أو معارضة ، ودون أن يحتفظ أحد بديانته السابقة على الرغم من الإضطهاد الذى واجهوه على أيدى المسيحيين الأروام ...

فهل إقتنع غالبية المصريين بالديانة المسيحية أم تركوا الأمر للحاكم يحدد لهم كيف يشاء؟

ثم أتى العصر الإسلامى ، وتوالى على حكم مصر العديد من الدول والحكام من كافة الأقطار (ولم يكن بينهم مصرى واحد) ، وأصبح غالبية الشعب المصرى مسلما طوال هذا العصر وحتى سقوط أسرة محمد على (آخر عهود الاحتلال) ، فهل كان ذلك طمعا فى رضاء الحكام أو هربا من الإضطهاد ودفع الجزية المفروضة على غير المسلمين نظير الدفاع وتسيير أمور الدولة أو إقتناعا بالدين الإسلامى ذاته؟

هل فقد الشعب المصرى هويته وإنتمائه الحقيقى للدين الذى يتبعه (إن كان ذو إنتماء أصيل وإختيار حر)؟
حيث نجد أن غالبية الشعب آثر السلامة وتملق الحكام والمحتلين فإختار ديانتهم (أو خضع لها) ، وتخلى عن ديانته السابقة بسهولة ليأمن بأس الحكام ، قد ينبهر بالدين الجديد وينساق وراء فضوله ، وهذا يؤكد عدم تمسكه القوى بدينه ، وإنجذابه لدين جديد لايعنى دراسته والإقتناع به بل قد يكون من باب التغيير.

بل أن الشعب المصرى يفرض على نفسه طقوسا متشابهة مع دياناته السابقة ، ولاتكون هذه الطقوس ضمن طقوس الدين الجديد وقد تكون متعارضة مع تعاليمه ، ولكن الشعب المصرى يعشق المظاهر و(الهيصة) ويخلط كافة المعتقدات ليخرج ب(توليفة) يصدقها ويتوارثها الأبناء وينسون مصدرها وأصلها وتصبح من الدين ، ومازال الشعب المصرى يحتفل بأعياد ومناسبات تنتمى إلى كافة العقائد والعصور ، وبعضها يمتد إلى العصر الفرعونى.
فهل يعد هذا التحول والتبدل تطورا طبيعيا فى حياة الشعوب ، والديانات التى كان يدين بها ماهى إلا مرحلة توصله إلى ديانة أرقى أو أحدث ، وهل يعتبر إحتفاظ الشعب بقدر من دياناته وخلطها نوعا من التراث الذى لايفقد الدين خصوصيته ؟ ...

وأيا كانت الإجابة ...

يبقى التساؤل الأبدى : أين الدين من كل هذه المظاهر والطقوس والبخور والعصبية والتشنج؟

فإننا نجد أن الوازع الدينى الذى كان يميز المصرى منذ قديم يتراجع بصورة كبيرة على مدار السنوات ، ذلك الوازع الذى كان يجعله يتمسك بأخلاقيات ومبادئ قويمة ، ويصده عن إتيان الأفعال الفاحشة أو الأخلاق الهدامة ، وهى أخلاقيات ومبادئ عامة توجد فى كافة الأديان والعقائد.

إذ أصبح من السهل على المصرى – فى معظم الأحوال - التغاضى عن مبادئ الدين وتعليماته فى مقابل مكسب مادى أو رغبته فى فرض رأيه وسيطرته أو إشباع غرائزه ، ويسهل عليه تبرير ذلك بالظروف المحيطة التى أوصلته لذلك رغما عنه ، بل يسهل عليه إدعاء المشروعية وفقا لتفسيره للدين الذى يتبعه أو وفقا لتفسير يرضيه ويحقق أغراضه.

وحين يتجه المصرى إلى التدين (مسيحيا كان أو مسلما) فإنه غالبا ما يتمسك بقشور ومظاهر يتعصب لها دون فهم أو إدراك ، هذه العصبية الخادعة تبعده عن التدين الصحيح لعقيدته (فى رأيى أن التدين الصحيح هو إتباع العبادة وإحسان المعاملة) ، وتدفعه إلى صراعات جوفاء مع إخوانه من الدين الآخر أو مع إخوانه من ملة أخرى على نفس الديانة ... هذه الصراعات المقصودة والموجهة من الغير هدفها إلهاء المصرى وإعاقته عن التقدم والرقى ليسهل على القوى الأجنبية فرض سيطرتها.

وخلال تلك الفترة النادرة من حكم المصريين لأنفسهم (وأرجو أن تطول هذه الفترة فما زلنا فى القرن الأول) يثور التساؤل هل يتمسك المصريون بالمبادئ الدينية الحقيقية للعقيدة التى يتبعونها (وليس مظاهرها) ، وأظن أنها لاتختلف فى المسيحية عن الإسلام فكلاهما يدعو إلى مكارم الأخلاق؟

ومامدى سرعة تحول المصريين أو تأثرهم بأى حضارة أو عقيدة أو دعوة وافدة تدعوهم للبعد عن المبادئ الحقيقية لديانتهم أوعلى الأقل تشككهم فى المعتقدات الراسخة ، وتدعوهم لعقيدة جديدة (ليس بالضرورة دين جديد ولكن مفهوم جديد

عصرى للدين يحمل فى ظاهره التيسير ويحقق التشتيت والتهاون ويخفى الكثير فى باطنه)؟

هذه العقائد الوافدة – فى رأيى لاتحمل معها سوى التدمير – هدفها الرئيسى تشتيت الفكر وتفريق الجمع وإضعاف الروح الدينية .. روح التمسك بالأخلاق القويمة والتى تدعو إلى العمل والإزدهار بجانب التعبد ... وبذلك تضعف عزيمة المصريين حتى لايستطيعون النظر إلى المستقبل ، ويفقدون القدرة على الإرتقاء بحياتهم ومستوى معيشتهم.

<u>الناحيــة الثـقـافـيـة:</u>

لم يستطع المصريون مواصلة إبداعاتهم وتقدمهم فى كافة المجالات لعدم إهتمام المحتلين فى فترات كثيرة بذلك ، بل كان تأثير الإحتلال عكسيا – فى بعض الأحيان - فقد إندثرت وتراجعت معظم هذه العلوم والإبداعات التى تحققت خلال العصر الفرعونى ، ولم يستفد بها المحتلون أنفسهم ، فلم يعد لهذا التقدم والإبداعات وجود سوى شواهد شاخصة كالأهرامات تؤكد وجود علم قديم دون العثور على أصول هذا العلم لتفسر لنا مثلا كيفية بناء الأهرامات وأسرارها.

فمن المؤكد أن بعض المحتلين حاولوا تدمير أصول هذه الحضارة ومظاهرها ومنهم الهكسوس قديما والفرنسيون والعرب حديثا لسبب نجهله ، ولكن هل قام المصريون القدماء أنفسهم بهذه المهمة ليحرموا المحتل من الإستفادة بحضارتهم؟

ولماذا لم يحتفظ العلماء بالكتب فى أى مكان للعودة إليها والإنتفاع بها؟

أسئلة كثيرة لم تجد من يجيب عنها.

وهكذا بدأت رحلة الإنسان من جديد ... سلسلة من التجارب والأخطاء ... ولم نصل كمصريين بعد لما وصل إليه المصرى القديم ، بل فقدت الحضارة الإنسانية كلها أزمنة كان من الممكن كسبها لو لم تدمر أصول الحضارة القديمة.

وخلال فترات إهتمام الحاكم بالثقافة والإبداع (لأى سبب كان) إستطاع المصرى تحقيق بعض التقدم ، ولكن لعلمه أن هذا التقدم والإزدهار سيعود بالنفع على الحاكم وحاشيته لم يبذل قصارى جهده ، وربما لوجود معوقات وإحباطات معيشية أخرى فإن أداء المصرى وكفاءته لم يكن بالمتوقع خاصة إذا قورن بأداء نفس المصرى وكفاءته إذا وضع فى ظروف أخرى (كالمصريين المغتربين أو المهاجرين لبلاد أخرى).

وفى العصر المعاصر أحس أن معظم المصريين لم يعد لديهم القدرة أو الرغبة الحقيقية فى الإبداع ... ربما لإفتقادهم للثقة وشعورهم بالإحباط وأن أى تقدم لن يكون لهم (سيكون دائما لمصلحة الحكام والمحتلين) أو لفقدانهم أساسيات وأصول البحث ؛ نظرا لتدمير الكتب وفقد الخبراء والعلماء إما بجذبهم إلى الخارج عن طريق دول أخرى وإما بقتلهم بالروتين الحكومى والإجراءات العقيمة والإحباطات المحيطة.

ويبدو أن المصريين تعودوا على قيام الحاكم بإجبارهم على العمل وتوجيههم الدائم فى إتجاه معين .. مما أفقد غالبية المصريين روح التحفز والتحدى ، بل أفقدهم القدرة على الاعتماد على النفس ، وأوجد لديهم حالة من التراخى والتكاسل والتواكل ، فتعودوا على عدم التفكير أو محاولة الفهم ، وفى حالة فهمهم فليس بيدهم دائما شئ ولن يؤخذ بآرائهم أو رغباتهم – هذا إعتقادهم اليقينى - ولذلك يقابلون أى جديد أو محاولة تجديد بلامبالاة شديدة ، ولايتعدى الموضوع مجرد تعليقات أو نكات.

وربما هذا ما أثر على المصريين من حيث وجود رغبة دائمة فى الكسب السريع دون مجهود أو مشقة ، فالمصرى يبحث دائما عن (الفهلوة) ويظن دائما أنه الأذكى ، ولذلك يهتم بالمظاهر والقشور ، وقد ينفعل بها دون إدراك المضمون

والمغزى ، ولايستمر إنفعاله كثيرا بل يفتر ويذوب وينسى الموضوع لينشغل بشئ آخر.

ويعتمد المصرى دائما على إنجازات الغير ، فقد تعود أن يكون مفعولا به وليس فاعلا ... وحتى حين ينضم إلى قوى فاعلة فغالبا ما يكون من باب التجربة أو التفرج أو الحماس الوقتى أو المنفعة المستترة ، وقد أدى ذلك إلى تقهقر كافة جوانب الحياة من زراعة وصناعة وثقافة وتعليم وغير ذلك.

هذا بخلاف التربص المستمر من الغير - وهم كثير ومحيطون بمصر من كل جانب - وحربهم المستعرة ضد أى محاولة للتقدم أو الإكتفاء الذاتى أو التمسك بالقيم والأخلاقيات (ويكون ذلك من خلال الصفقات التجارية والإتفاقيات غير المتكافئة وإتفاقيات التعاون الإقتصادى الموجهة والإغراق الثقافى والتشويش الفكرى والدينى) ، وذلك لتحقيق خلخلة إقتصادية وإجتماعية يسهل بها زعزعة النظام السياسى وتأليب الأهالى وإضعاف قوى الدولة ، ومن ثم يسهل إعادة الإحتلال بمساعدة الشعب ذاته (وتاريخ الشعب يؤكد ذلك ، والشواهد تتجه نحو هذا الهدف - هذا رأيى) ...

وما يؤكد محاولات الغير لإعادة الإحتلال .... ماذكر بمقال فى جريدة الأهرام يوم ٣٠ نوفمبر ٢٠٠٦م للدكتور/ قدرى حفنى ذكر به بعض مانشر عن مقال بمجلة القوات المسلحة الأمريكية إصدار يوليو ٢٠٠٦م تحت عنوان (حدود الدم) الذى ينتهى رأيهم إلى ضرورة تعديل بعض الكيانات بالشرق الأوسط وإعادة تقسيمها لتحويلها إلى دول أحادية الدين والطائفة بهدف إزالة التوتر (الهدف النبيل) وللحفاظ على المصالح الأمريكية (الهدف الحقيقى) .... ومن الدول المستهدفة بهذا المخطط دولة مصر.

كل تلك الأمور حدثت على مدار السنين الطويلة الماضية ، وتحدث فى الحاضر ، وسوف تحدث مستقبلا ؛ إما بتأثير من الغير وتخطيطه بعيد المدى (لأغراض ظاهرة وخفية) أو من المصريين أنفسهم (لعدم وعيهم وقصر نظرتهم وعدم رغبتهم الحقيقية فى التغيير والتقدم .. وتعودهم على أن تسير بهم الحياة لا أن يسيروا هم بأنفسهم فى الحياة).

قد يرى البعض أن تعليقى يحمل تعسفا شديدا لصفات الشعب المصرى ، وأعترف أن هناك طاقات جيدة كامنة فى هذا الشعب تبحث عمن يكتشفها ، ولكن كثيرا من الركام غطى على تلك الصفات الحميدة لهذا الشعب المظلوم بإرادته والمظلوم رغما عنه ، ولن يزيل هذا الركام سوى الشعب ذاته – إذا أراد – ليعيش قويا حرا ويتطور إلى الأحسن لمصلحته وليس لمصلحة محتلين أو قلة من المستفيدين.

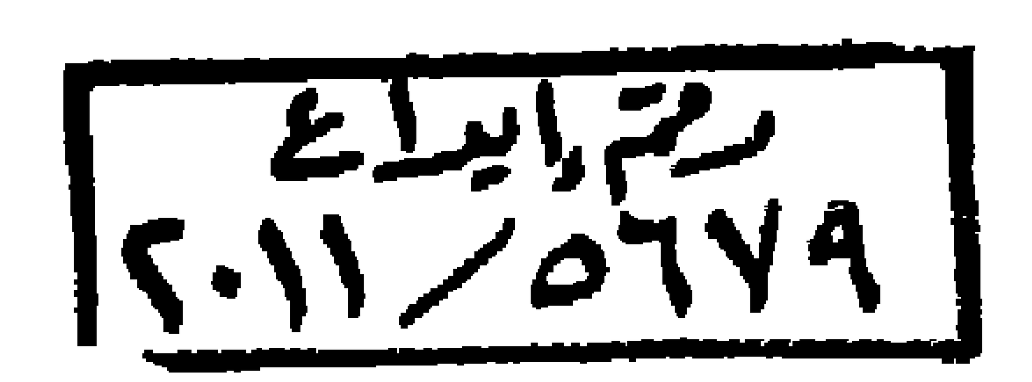
فهل يفيق المصريون ويتغير فيهم شئ خلال فترة حكمهم لأنفسهم ، ويستطيعون أن يسطروا فى كتب التاريخ صفحة عن فترة نادرة الحدوث عبر تاريخهم الطويل ، أم يستسلموا للإحباطات المتوالية وقلقهم المستمر وأنانيتهم وتبلدهم إزاء حياتهم ومستقبلهم ، وينجح أعداء مصر المحيطين بها فى تقويضها من الداخل ليسهل عليهم إحتلالها مرة أخرى وإستغلال ثرواتها؟

من يدرى ... ؟؟؟

سيمر الزمن سريعا ، وتحكم الأجيال القادمة على هذه الفترة .. تماما كما نحكم الآن على الفترات السابقة ، فأى حكم نريده لأنفسنا وأى مستقبل نريده لأبنائنا؟

فهرس رسالة تاريخ مصر

تعليق شخصى:



رقم إيداع ٢٠١١/٥٦٧٩

كلمة عن التاريخ

إن دراسة تاريخ شعب يجب الا تقتصر على سرد تواريخ ووقائع وأحداث ... بل يجب أن تتعدى ذلك الى دراسة وتحليل كافة النواحى الاجتماعية والاقتصادية للشعب ، والتى تأثرت بالوقائع والاحداث التاريخية للوصول الى تفسير للتركيبة النفسية الحالية للانسان المعاصر.

يجب أن تفيد هذه الدراسة فى تحديد التوصيات التى يمكن العمل بها لتصحيح نواحى القصور وتعظيم نواحى القوة والتفوق والإبداع داخل النفس البشرية ، للوصول الى التركيبة المثلى - كلما أمكن - للانسان المعاصر ، وذلك لتحقيق أقصى قدر من التقدم والرقى ، باعتبار الانسان هو وحدة المجتمع .

لاشك أن تصفح التاريخ فى حد ذاته مسلى ومشوق ، ولكن يجب أن تعدى الامر ذلك ، لابد أن يحمل التاريخ رسالة للأجيال التالية لتستفيد منه لحاضرها ومستقبلها



